

مجلد علمی عربی

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٣٠ م الموافق المحرم سنة ١٣٤٩ هـ ١١٤

المحاضرة الثانية عشرة

عروبة المتنبى (١)

الفتى العربي

— ٤ —

حرص العرب على قوميتهم - اختلاط العرب بالاعاجم -

نشأت العرب

« نغني الشعراء بالقومية العربية »

أرايتم كيف كان البمايون وهم في ارض غيرارضهم ، وتحت سماء غيرسمائهم يلعبون
بذكربطونهم وأحيائهم ، وقد نقاذت بهم وهاد وتلاع ، وشطت بهم غربة نازحة ،
أرايتم كيف كانوا يحنوت الى قبيلهم وعشيرهم ، فما يسمون منازلهم في خد العذراء الا
كنندة والا السبيع ، أرايتم كيف كان اهل البدو يعتصمون بالعروة الوثقى من قوميتهم
وتطرب السننهم بذكربانهم ، وهل القومية الا الحرص على الذكريات ، هل القومية الا
النغني باصحاب هذه الذكريات .

قال المؤلف الايطالي (فرورو Ferrero) أصبح احتفال الامم بعد تعاقب مائة عام

(١) سلسلة المحاضرات التي القاما في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على وفاة الفضلاء من رجالها عقيدة قومية في كل الامصار ، وهذا مما جاء به القرن التاسع عشر .

والى هذا رمي اوغست كوت لما اراد ان يجعل عبادة عظماء الرجال بمنزلة عقيدة من عقائد البشر .

فالمعتقد الذي يذهب اليه الافرنجية في عصرنا هذا ذهب اليه العرب في قديم الدهر ولئن ملأ مذهب القوميات القرن التاسع عشر على ما قال الاستاذ « سورل » فان هذا المذهب قد ملأ تاريخ العرب من قبل ان يخلق القرن التاسع عشر .

لقد كان العرب يحرسون على قوميتهم وهل القومية الا اتصال رجال الامة بعضهم ببعض ، امواتهم باحيائهم ، وحاضرهم بغابرهم ولم لا يحرسون هذا الحرص ، وقد كانوا امة على معنى المصطلح الاجتماعي في عصرنا هذا ، ينسبون الى اصل واحد ، وقد تقاربت اخلاقيهم وطبائعهم ، وتشابهت هيئاتهم وسخنائهم ، وتماثل تاريخهم وسياساتهم ، وجمعتهم ارض واحدة ، وظلتهم مماء واحدة ، وهل الامة الا واحدة في جنسها وبشرتها ولغتها ودينها وحكومتها وارضها ، على اننا نرى في ايامنا امما من اجناس مختلفة ، يتكلمون بلغات مختلفة ، و يدخلون في ادبيات مختلفة ، اننا نرى شعوباً يجمعهم نظام قومي محكم وهم مبعثرون في نواحي العالم كله . كاليهود مثلاً اننا نرى شعوباً يتكلمون بلغة واحدة ولا ينسبون الى امة واحدة ، كالانكليز واميركان الشمال ، وكسكان اسبانية وجمهورية اميركة الجنوبية ، وكسكان البرازيل والبرازيل ، وكسكان فرانسة والجيكية الشرقية وكسكان ألمانية وسويسرة الشرقية ، اننا نرى امما من اجناس مختلفين ، كالروس ، او كاهل الولايات المتحدة ، حيث نشاهد الالبض والاسود والاحمر . اننا نرى امما فيها مذاهب شتى واديان متباينة ^(١)

عاملان من العوامل بنشأت الامة : اشتراك الامة في ميراث ملان من الذكريات واجتماع كلمة هذه الامة على احياء ميراثها المشترك ، فالعرب في قديم الدهر قد لناوات ميراثاً خصباً بذكرياته وتضافرت على احياء هذا الميراث فعاشت به زمناً رغداً يتغنى العربي

(١) دائرة المعارف الفرنسية : بحث القوميات .

بعروبيته . ويفخر بقوميته ، فهو صاحب الامر النافذ في دياره ، يتصرف سيفه ملكه لا يشاركه رومي او تركي او فارسي او دينلي في سلطانه ، العربية لسانه والعمائم تيجانه والمشرفية سيموفه والخطية رماحه ، نعم عاش العرب في صدر الاسلام بهذا الميراث الخصب : « يتبخثون على شباب الدهر في ظل السرير »

ولكن سرعان ما حالت احوال وحدثت حوادث وما هو الا كركد النفس واذا القيسية والجانية ، واذا العنن والشباب ، واذا الفرس والترك والديلم ، واذا التطاول لانتزاع الملك والسلطان ، واذا الفرقة بعد الالة . واذا الطولونية والاشيدية والحمدانية والفاطمية والسجوقية ، ذهبت وحدة العرب او كادت ، وطلعت الشعوبية في البلاد فلا عز ولا منعة ولا حكمة السن ولا شدة عقول :

فلست بتارك ابوان كسرى لتوضح او لحومل فالدخول

وضب في الفلاساع وذئب بهما يموي وليث وسط غيل

هذه هي نعمات الشعوبية بعد ان كان السلطان عربيا واللسان مضربا . والشعي يمانيا ازدهر الاعاجم في البلاد واخذ عمال الخلافة العباسية بنفصلون عن بغداد وينفردون بامور الملك والسلطان ، قال غسثاف لوبون :

« من جملة الاسباب في ضعف العرب اختلاف الامم الذين خضعوا لسلطانهم ، فقد ادى هذا الاختلاف الى تمازج شعوب لا يشبه بعضهم بعضا ، الى تنازع هذه الشعوب ونشأ عن هذا كله نزواج عناصر متباينة ، فافسد هذا التزاوج دم الفاتحين من العرب ، لقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد واحدة سببا في انقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور واثبت التاريخ ان لا سبيل الى ابقاء اجناس مختلفين في قبضة واحدة الا بامرين ، اما ان يشدد سلطان الفاتحين فلا تخرج الخوارج عليهم واما ان لا يتزوج الغالب الى نساء المغلوب اي ان لا يندمج الغالب في المغلوب وهذا الامر الثاني لم يحذر العرب - »
نعم لم يحذر العرب هذه الامور كلها حتى اختلطوا بالاعاجم فنفقرت كلمة العرب وضعف تغني القوم بعروبيتهم .

فلنتظر في هذه الحالة الاليمة هل حافظ المنفي على عروبيته ، أفكان يضطرب سيفه هذه العروبة اضطرابه في حنينه الى وطنه ، أفكان يتغنى بها مرة ، ويعقها مرة ، كما

كان يحن حيناً الى كندة ، وحيناً يرى ان كل مكاث ينبت العز طيب ، فلننظر هل اشتدت الفة المنني ليمانته وعروبته في جمع اطوار حياته .

لئن كان ابو الطيب قلقاً في تغنيه بتربته كرشة في مهب الريح ، لئن عطف حيناً على وطنه وعقه حيناً آخر ، فما كان قلقاً في تغنيه بعروبته ، لم يعقها في يوم من ايامه ولا حدثته نفسه بالانسلاخ منها في حال من احواله ، ولئن لم تشتد الفة ابو الطيب لتربته فقد اشتدت الفة ليمانته وعروبته فهذه العروبة ممزوجة بنفسه ، موصولة بروحه من اول حياته الى آخرها .

المنني عريق في يمانته ، شديداً لحرص عليها وهل هو الا من جوفي وحمدان ، وكأني به وهو يقول في صباه على لسان بعض النيوخين :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يمان

كأني به يريد نفسه بهذه اليمانية ولكن ابا الطيب لم يبقع في عقر يمانته فقد طار في فضاء اوسع وحلق في سماء امد ، فانسلخ من اليمانية واندمج في العروبة بفاخر بكل شيء عربي يفاخر بلسان العرب وبتيجان العرب وبسيوف العرب . وسواء أكان ابو الطيب رقيق الحال ام كان واسع النعمة وسواء أكان في بلاد العرب ام كان في بلاد المعجم انه حافظ على هذا الدم العربي وتعلق بأعقاب هذه القومية العربية فلم يرض بغيرها ديناً ولم يبع عنها حولاً .

وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان بارض فارس وهو احد منزهات الدنيا ، مشهور بحسنه وكثرة شجره وتدفق امواهه وكثرة انواع طيره .

اذا أشرف الحزون من رأس تلمة على شعب بوان استراح من الكرب تغنى به الكتاب والشعراء فوصفوا فيه جداول ماء ارق من دموع العشاق واورد من ثغور الاحباب ، ووصفوا تفرق آذيها وتدفق تيارها وتكسر حبابها في خلال زهر ورباض ، ووصفوا ظلها الخضل الالى ، ما قولكم في شاعر يصف هذا المنزه ويقول فيه :

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان سار بترجمان

طبت فرساننا والخيول حتى خشيت وان كر من الحران

غدونا لنفص الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمال

فسرت وقد حجب الحر عني وجئن من الضياء بما كفا في
والقى الشرق منها في ثيابي دنائراً نقر من البنات
لها ثمر تشير اليه منه بأشربة وقفن بلا اوان
وامواه نصل بها حصاها صليل الحلي في ابدي الغواني
ما قولكم في شاعر يرى هذه العجائب والغرائب فلم تستول على قلبه ولم تأخذ من
نفسه لانه تذكر وهو في شعب بوان انه عربي بين عجم فتأوه وقال :
ولكن الفنى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
وما هذا الفنى العربي الا ابو الطيب نفسه .
وحن الى منازل دمشق العربية وقال :
منازل لم يزل منها خيال يشيعني الى النوبندجان
اذا غنى الحمام الورق فيها اجابته اغاني القيات
ومن بالشعب احوج من حمام اذا غنى وفاح الى البسان

* * *

من هذا يتبين لكم مقدار احتفاظ المتنبي بعروبيته وهو في آخر مدي حياته قد
وقف على الحسين اوجاوزها ولم يكتف بهذا المقدار فذهب في هذه النزعة القومية مذهباً
ابعد ، فهو لا يريد ان يرى الا ملكاً عربياً ، ولا يمتدح انت العرب لنجح اذا كانت
ملوكها من العجم لان العجم ينقضون العهود ولا يخفرون الدم :

وانما الناس بالملوك وما نفلح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذم
بكل ارض وطئتها ام ترعى بعبد كآنها غنم
يستخشن الخز حين يلسه وكاث بهرى بظفره القلم

وما هؤلاء العبيد الا عبيد الخلفاء من الاتراك الذين يأمرون على الناس . فالمتنبي
يرى بين قومه وبين الاعاجم من تراخي المسافات ما لا يمكن تقريبه فهم متباينون في اللغة
والذكريات فليس لهم ماض مشترك يؤلف بين فلو بهم . ليس لهم ذكريات واحدة .
وادب واحد . واخلاق واحدة . وتربية واحدة فالشاعر مستحکم بينهم من كل النواحي .

فالمثنبيّ عربي في سلطانه . وقد حملته عربيته هذه في بعض الاحاين على ابلاد
الاعاجم فانه لما قدم من الرملة يريد انطاكية مر بابن كيغلف وهو رجل رومي كان يحافظ على
الطريق في طرابلس . فسأله هذا الرومي ان يمدحه فترفع ابو الطيب عن مدحه . فاعتاقه
ابن كيغلف عن سفره ثلاثة ايام . فلما فارقه المثنبيّ قال فيه قصيدته المشهورة : لهوى
النفوس سريرة لاتعلم . من جماتها هذا البيت :

افعال من نلد الكرام كريمة وفعال من نلد الاعاجم اعجم
انظروا كيف كان ابو الطيب يتجرد للراماة دون حياض العرب . فقد كان يباهر
بكل شيء عربي . يباهر بلسان العرب وبنيجان العرب . و بسيوف العرب . وصحبته هذه
العاطفة الشريفة حتى آخر نفس من انفاسه الدكية . لما مدح ابن العميد في ارض
فارس وهناه بالنيروز مدح فيه عروبة اللسان قبل كل شيء فقال :

عربي لسانه فلسفي رأيه فارسية اعياده

ولما انصرف سيف الدولة من الظفر بحصن يزويه وعاد الى انطاكية . جلس في
فازة من الدباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان . افتظنون ان ابا الطيب
فضل نيجان الروم على عمامة العرب كلاً ثم كلاً . فقد قال لسيف الدولة :

وفي صورة الرومي ذي الناج ذلة لا بلج لا نيجان الاعمامه
نقبّل افواه الملوك بساطه ويكبر عنها كنه وراجمه

نعم كان يفاخر بكل شيء عربي انظروا الى مفاخرته بسيوف العرب قال يمدح
سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت تزارية عربا

وكان هذه النزعة القومية كانت نزعة طائفة من شعراء تلك الايام على ان الحرب
التي كانت تدور بين المسلمين والروم قد صبغت بصبغة دينية فكان ملك الروم اذا غزا
بلاد المسلمين يجهز رجاله بالصليب الاحمر وقد كان شعراء العرب يومئذ يذهبون في شعرهم
بعض مذاهب اسلامية مجازاة لطبيعة الحرب بين الروم والمسلمين قال ابو الطيب
لسيف الدولة :

خضعت لمنصلك المناصل عنوة واذل دينك سائر الاديان
ولكنهم مع هذا كله قد خرجوا من افق الدين الى افق اوسع واعم ، فلم يقنصر
ابو الطيب في مدائحهم في سيف الدولة على الاشارة الى نصرة الاسلام في حرب الروم
ولكنه كان يرمي مرمى عربياً ابعد أفقاً فن قوله في سيف الدولة :

رفعت بك العرب العاد وصيرت قمر المملوك موافد النسيان
انساب نخرم اليك وانما انساب اصلهم الى عدنان

فقال : رفعت بك العرب ولم يقل رفع بك الدين .

نعم كانت هذه اللمحة لجهة كثير من شعراء تلك الايام ، لما بني سيف الدولة قلعة
الحدث وقد جمع ملك الروم اكابر مملكته وجهزم بالصليب الاحمر هناك كثير من
الشعراء من جملتهم السري الذي قال في بناء الحدث :

رفعت بالحدث الحصن الذي خففت منه الحوادث حتى ذل صاحبه
اعدته عروباً في مناسبة من بعد ما كان رومياً مناسبة
وكتب ابو فراس الى سيف الدولة وهو في الاسر اباناً من جملتها :

وانك لي الجبل المشفور بل لقومك بل للعرب

ومن قول ابى نصر ابن نباتة في سيف الدولة :

حاشاك ان يدعيك العرب واحداً يا من ثرى قدديه طينة العرب
وما اكرم هذه الصرخة التي صرخها ابو فراس على اسان نساء بني كلاب وذلك ان
سيف الدولة اصطنع بني كلاب وادناهم وآمن سرهم فقهروا العرب وعلت كلمتهم الى ان
بدت منهم هفوة احفظت سيف الدولة فاسرى اليهم وادفع بهم وملك حرمهم واموالهم
ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم وركل بين الخدم وحملن وافضل عليهن واحسن اليهن
فكتب اليه ابو فراس في تلك الحال قصيدة يقول فيها :

ينادين بين خلال البيوت لا يقطع الله اصل العرب !

وفي هذه الوقة يقول ابو الطيب :

وان بك سيف دولة غير قيس فمنه جلود قيس والسياب

وتحت ربابه نبتوا واثوا وسيف ايامه كثروا وطابوا

وتحت لوائه ضربوا الاعادي وذل لهم من العرب الصواب

هكذا كان نغني الشعراء بالقومية حتى ان ابا تمام لما قال قصيدته الخالدة في مدح المعتصم وذكر فتح عمورية نزع في شعره نزعة اسلامية ولكنه لم يسعه في آخر القصيدة الا النغني بالعروبة فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم موصولة او زمام غير منقضب
فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب
ابقت بني الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلت اوجه العرب
فانتم تجدون في هذا كله ان كلمة العرب كانت تجري على السن الشعراء في ذلك
العصر حتى في الحروب الدينية وفي هذا اشارة الى نزعة قومية لا يخفى امرها .

هذا ما عن لي من الكلام على عروبة المنبئي ولم لا بنغني ابو الطيب بعروبيته ، وقد جاءت هذه العروبة من ناحية ابيه ومن ناحية امه فاختلقت في صدره فلم تفارقه في طور من اطوار حياته ، واذا كان شاعر مثل المنبئي لم ينزع في شعره نزعة قومية فمن الذي يذهب هذا المذهب ، فاللسان العربي الذي لحن ابو الطيب بحبته عامل من اقوى عوامل القومية ولئن وجدنا شعوباً يتكلمون بلغات واحدة ولا ينتمون الى امة واحدة فلا يستنبط من هذا ان اللغة الواحدة لا تكون عنصراً من عناصر القومية فاللغة انما هي اشد الاواصر بين حاضر الامة وماضيها ، وبين احيائها وموتاهها . فيها كل شيء يربطنا بالماضي ، فيها افراح العرب وآلامهم وفيها افكارهم وعواطفهم ، انها تضمنت ميراثنا الادبي الذي نعب آباؤنا واجدادنا في صقل جوانبه وتهذيب حواشيه ولا تكون الامة امة على مصطلح هذا العصر الا اذا تضافر رجالها على الاعناء بهذا الميراث .

هذا ما رمى اليه ابو الطيب في الماضي وهذا ما نرمي اليه في الحاضر والآتي .

دمشق : في اشباط سنة ١٩٣٠

المحاضرة الثالثة عشرة

هل كان المتنبي شعوبياً

- ٥ -

نفهم عنه التمصب لوطى - نفهم عنه التمصب لقومه
« نقد الشاعر من ناحية واحدة »

هيات الكلام على ابتداء امر المتنبي ، وعلى اول تربته وثقافته ، وعلى رقة حاله
وجملة اخباره ، ووصف طبائعه ، واعدته لأخضر به في هذا اليوم الا ان المقام اقضى
ان اعود على ما بدأت به من الكلام على تمصب المتنبي للعرب والعروبة ، وعلى حنينه الى
وطنه واضطرابه في هذا الحنين لاني وجدت بعض المؤلفين في هذا العصر ممن عملوا
كتاباً على حدة في ابي الطيب المتنبي بنفون عن ابي الطيب نعصبه لقومه ، ونعصبه لبلده ،
ملقين الكلام على عواهنه دون شيء من التحيص . أما نفهم عنه التمصب للوطن ، فقد
استندوا فيه الى طائفة من الابيات التي رويتها لكم واشترت فيها الى اضطراب المتنبي في
حنينه الى تربته منها :

وما بلد الانسان غير الموافق ولا امله الادنون غير الاصادق
ومنها وكل امري يولي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب
واضافوا اليها ابياتاً غيرها من جملتها :

غني عن الاوطان لا يستخني الى بلد سافرت عنه اياها
ومنها : في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختمها بدل
على ان البيت الذي جاء قبل هذا البيت وهو :

اذا صديق نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحليل

بدل على ان ابا الطيب اذا حدثه نفسه بالاضطراب في سعة الخافقين فانما ذهب هذا
المذهب لانكاره جانب الصديق ولم يذهب لانكاره جانب الوطن نفسه .

ذكروا هذه الابهات كلها ، وقراروا بينها وبين الابهات الآتية التي بقولها اصحابها في حنينهم الى بلادهم والى قومهم :

بلادي وان جارت علي عزيزة وقومي وان ضنوا علي كرام

او كقول المعري :

فلا هطلت علي ولا بارض صحائب ليس انتظم البلادا

فحكوا على المتنبي انه لا يتعصب لبلده ، ورموه بضعف الخلق ، وشبهوه بالطفل الذي يند بديه الى الخير ، لا يبالي اين وجده وكيف النقطه -

واما فهم عنه التعصب لقومه ، فانهم لم يذكروا الابهات التي استندوا اليها في هذا النفي ، ولكنهم اشاروا الى مدائح ابي الطيب في عضد الدولة وفي كافور وعجبوا من المثنبي كيف يمدح الاعاجم بعد قوله :

وانما الناس بالملوك وما نفلح عرب ملوكها عجم

كيف يمدح ابو الطيب عضد الدولة ، وكيف يذكر في شعره اسمه ولقبه ويقول :

وقد رأيت الملوك فاطية وسرت حتى رأيت مولاها

اباشجاع بفارس عضد الدولة فترسا خسرو شه نشاما

نعم عجبوا من هذا كله ، فحكوا على المتنبي انه مجرد من التعصب للعرب ولبلاذ العرب فكانهم يقولون فيه انه شعوبي ، وانهم لم يصرحوا بهذه الصفة ، فلننظر في مبلغ هذا العجب ومقدار هذا الحكم ، أفكانوا مصيبين في هذا الحكم ام كانوا مخطئين فيه ، أفصدر حكمهم بعد ان نظروا الى ابي الطيب من جميع النواحي ، ام صدر الحكم وهم لم ينظروا الى المثنبي الا من ناحية واحدة ، فلا بأس بان يكون الدرس في هذا اليوم ضرباً من النقد :

الغريب انهم اذا نقدوا شعر شاعر ، وصوبوا النظر وصعدوه في مواطن هذا الشاعر وفي ظواهره ، نظروا اليه من طرف واحد . فمنهم من ينظر اليه من الناحية التي يظنها ناحية المحاسن ، ومنهم من ينظر اليه من الناحية التي يحسبها ناحية المساوي ، وفي هذين المذهبين اشتطاط في الرأي وذهاب مع الهوى . وانقياد للعاطفة ، وضعف في النظر

وما ينبغي للناقد ان يكون خاضعاً لسلطان الهوى ، ما ينبغي للعين ان يخفى عليها الضياء فلا ترى الا الظلام ، فأنهم اذا ذهبوا سبغ النقد هذه المذاهب ، وساروا هذه السيرة ضاعت الحسنات ، حتى انهم لم يعطوا العورات في بعض الاحيان وبتعقبونها فيمرون بالحسنات الرائعة والى جنبها سيئة خفية فيغضون على الروائع ويتهامسون بالعورات وما هذا من النقد في شيء ، واذا الناقد لم ينظر الى الشاعر من جميع الوجوه من وجه الحسنات ومن وجه السيئات على السواء لم يكن نقده نقداً ولا تمييزه تمييزاً ، اذا هو نظر اليه من طرف واحد ، حكم الهوى في نظره كان نقده مثلوم الجواب .

جردوا ابا الطيب من كل عاطفة وطنية ومن كل نزعة قومية واعتمدوا سبغ تجربتهم هذا على الابهات التي رويتمها لكم فلم ينظر في حكمهم على ابي الطيب من الناحية الوطنية ، والمراد بالوطنية في هذا المقام الحنين الى الوطن ، لا ريب في ان ابا الطيب لم يثبت على حال في شوقه الى تربته ، وقد بدت اضطرابه في هذا الحنين فلا أجد حاجة الى الرجوع اليه . وقد يكون لهذا الاضطراب اسباب شتى : منها ان ابا الطيب لم يستقر في وطنه منذ نشأ وترعرع حتى قتل ، فمن بادية العراق الى بادية الشام ، ومن اللاذقية الى انطاكية الى حلب ، ومن حمص الى دمشق ومن دمشق الى طبريا الى الرملة ومن فلسطين الى مصر ومن مصر الى العراق ، ومن العراق الى بلاد فارس ، فهو لم يقيم بوطنه فلم تألف عينه هذا الوطن ، ومنها ان النفس تعرض لها في بعض الساعات عوارض فتذهل عن كل شيء في الدنيا حتى انها لشكاد نعاف الحياء والمنني عصبي المزاج فكان تعرض له هذه العوارض من ألم في النفس وضيق في الصدر كما تعرض اكل واحد منا وما قولكم في شاعر بترك بلاد الشام وذهب الى مصر فيخلى له كافور داراً ويخلع عليه ويحمل اليه آلافاً من الدراهم فيستقبله المنني بهذا الشعر :

كني بك داء ان ترى الموت شافياً وحسب المنيا ان يكن امانيا

ما فواكم في شاعر يتنى الموت وهو في بجموحة من العيش وسعة من الامل أفيكثير عليه ان يعاف بلده في بعض الساعات اذا كان يعاف حياته ، على ان ابا الطيب لم يجرى من العاطفة الوطنية كل التجريد ، فانه اذا اضطرب وقال :

غني عن الأوطان لا يستغني الى بلد سافرت عنه اياك

هذا بعد مضطربه وقال وهو في بلاد فارس بين يدي ملك عجمي :
أحب حمص الى خنـاصرة وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصصحان مشتاهما

وان الذي يقول : وكل نفس تحب محياها ، او يقول : أحـن الى اهلي واهوى لقاءهم ، لا يرمى بمهمة الوطن فكان ابو الطيب بضطرب في بعض الاحوال ثم يهدأ فيصفو خاطره ويروق ذهنه فيذكر اهله ووطنه فكان يجب على الذين نفوا عنه التعصب لبلده ان ينظروا اليه من النواحي كلها ، من ناحية حنينه الى تربته ومن ناحية اضطرابه في هذا الحنين حتى يكون حكمهم صادقا الا انهم لم ينظروا اليه الا من ناحية واحدة ، فأشاروا الى الابیات التي دلت على اضطرابه في الحنين الى الوطن وسكتوا عن الابیات التي تضمنت حنينه اليه فإما ان يكونوا متحاملين على الشنبي ، وإما انهم لم يقرأوا ديوانه كله ، والأمر الثاني أغرب فكيف يؤلفون في هذا العصر كتابا في شاعر من الشعراء ولا يقرأون شعره كله .

على انهم لو انصفوا فنظروا الى ابي الطيب في وطنه اي في حنينه الى تربته من الناحيتين ، واحبوا ان ينقدوه من الناحية التي اشتملت على تغنيته بتربته لوجدوا مجال النقد ذا سمة فان ابا الطيب لم يخلف لنا في شعره صورة التربة التي ألفها ، فلم يحمدنا على الحنو على هذه الارض الكريمة التي رويت من دماء آبائنا واجدادنا فلو أحطنا مثلاً في شعر ابي الطيب وهو في مصيفه في حمص بالعاصي من منطفات شطوطه ، فحمدنا على هذا النهر المنبسط وصوبنا النظر وصعدناه في مروجـه وفي جنانه وشمعنا نسيم الشبح والقيصوم في البادية التي جال فيها كل مجال لشعرنا حينئذ بفرط الحنو على هذه الارض الكريمة حيث نبئت لنا في كل بقعة من بقاعها اصول دقيقة قوية نذكرنا فيها لنا وعشيرنا في الماضي .

لوقدروا ابا الطيب من هذه الناحية ، وقالوا لم يخلف في شعره صورة تجمع أشكال التربة التي ألفها والوان هذه التربة لأصابوا في تقديم بعض الاصابة ولكنهم لم ينقدوه من هذا الوجه وانما جردوه من العاطفة الوطنية تجر بـداً ، وهذا موضع الاشتطاط ، على

ان ابا الطيب لم يخل شعره من اثر للتربة التي مر بها والفها ، ولكن هذا الاثر انما هو اثر اعرابي يوافق ذوق ابي الطيب وعادته في مشابهة الاعراب وهل هو الا ابن البادية ، ورب القبايل الف الاعراب من حادثة سنة واخذ عنهم اللغة . صحيحهم منين ثم جاء الكوفة و هو بدوي فح ، نعم لم يخل شعره من اثر للتربة التي الفها فانه كما قال :

احب حمصاً الى خناصره وكل نفس تحب محبها
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشهاها

وصف في مصيفه في حمص ومشتهاه بالصحصحان نط عبشته وما هذه العيشة الا عيشة الأعراب :

ان اعشبت روضة رعينهاها او ذكرت حلة غزوناها
او عرضت عانة مقزعة صدنا باخرى الجياد اولها
او عبرت هجمة بنسا تركت تكوس بين الشروب عقراها
والخيل مطرودة وطاردة تجر طول القنا وقصرها
يعجبها فقلها الكماة ولا ينظرها الدهر بعد قنلاها

هذا الذي تركه لنا من آثار مصيفه ومشتهاه في حمص والصحصحان وانتم ترون ان هذه الآثار اعرابية ما فيها الا الصيد والالغزو .

فلننظر الآن في حكمهم على المننبي من الناحية القومية ، فقد عجبوا منه كيف سمحت له نفسه بمدح العجم والاعاجم ، بعد مدح امراء العرب كسيف الدولة واخترابه ، وبعد تعبيره بكرامية العجم ، لا شك في ان ابا الطيب مدح ملوكاً وامراء لا ينتمون الى اصل عربي من جملتهم عضد الدولة ومن جملتهم الاستاذ كافور ولكن هل يجوز ان يكون مجرد مدحه لامراء وملوك اعاجم دليلاً على ايمانه في عربيته وهوادته في قوميته وعلى الخصوص فانه لم يجر على شعره في مدائحه فيهم شيء يستخلص منه فضل الاعاجم على العرب او انه طعن على العرب ورفع من مقادير العجم كما كانت تفعل الشعوبية ، فهو لم يمدح الروم والصقالب والبلغار ولا مدح الدمستق وقسطنطين . وانما مدح ملوكاً مسلمين يتكلمون بلغة العرب وبفأخرون بها فان ملوك آل بويه شعروا ورويت لهم اشعار وكان في خدمتهم

من الكتاب والوزراء امثال ابي اسحق الصابي وابي القاسم عبد العزيز بن يوسف وابي احمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وأبي القاسم علي بن القاسم القاشاني وابن العميد عماد ملك آل بويه والصاحب ابي القاسم وغيرهم ممن كانوا امراء البهتان والانشاء وكانت اللغة الفارسية قد غرقت في خضم العربية وكان عضد الدولة نفسه على ما ذكره الثعالي في يتيمة يتفرغ للادب ويتشغل بالكتب ويؤثر بحالسة الادباء على مناصرة الامراء ويقول شعراً كثيراً قال ابو بكر الخوارزمي :

كان بنادم عضد الدولة بعض الادباء والظرفاء ويحاضر بالادب والتشبيهات ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتها وغيرهما الا وانشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فبينما هو ذات يوم معه على المائدة ينشده كعادته اذ قدمت بهيمة فنظر عضد الدولة كالامر اياه بان يصفها فارتح عليه وغلبه سكوت معه نجل فارتحل عضد الدولة وقال :

بهيمة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجاه مجلوة لآتي في ماء كافور

وقد رويت اشعار لابنه تاج الدولة ابي الحسين احمد ولعن الدولة ابي منصور بخنيار ولابي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة فالمنبي لم يمدح ملوكاً طعنوا على العربية وانما مدح ملوكاً كانوا يشككون بها وبفاخرون وفي اتصاله بهم لم ينس عروبيته ولم يتجرد منها واظن انكم لاتزالون تذكرون قوله في مغاني شعب بوان .

ولكن النقي العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان .

والنزعة العربية في هذا البيت واضحة فالذي لا تهمه العصبية لقومه لا يستوحش في بلاد العجم وقد كان يستطيع ان يرضي العجم فيقول لم مثلاً اذا نزل العربي بارضكم فلا يكون غريباً ولكن نفسه العربية أبت الا الوحشة والا الحنين الى منازل دمشق .

وكذلك الاستاذ كافور فقد كانت مجالسه عامرة بالشعراء منهم الانصاري وكانوا يتفاوضون في اللغة والادب حتى ان المنبي عارض الانصاري بمضرة كافور في قصيدته الميمية التي يقول فيها : (نظر الحب الى الحبيب غرام) ، وقال له : العرب لاتقول اليه

غرام وإنما العرب نقول له ، فقال له الانصاري : العرب نقول اليه ولديه وله وحروف
الخفض ينوب بعضها عن بعض .

فالمملوك الذين تعمروهم بالسهم بأشكال هذه المجادلات انما هم مملوك لا يكرهون العربية
على ما اظن فما في مدح المنبي لم طعن عليه من الناحية القومية فما كان بحضورتهم بغض
من العرب و ينقصهم .

فالمنبي عربي في اصله ، عربي في عيشته ، عربي في نزعتة ، وقد صحب الاعراب
وخالطهم ولهذه الخالطة آثار في شعره فيجب على الذين ينفون عنه التمسك لوطنه واقومه
ان ينظروا اليه من كل النواحي حتى يكون تقديمهم صحيحا .

دمشق : في ٨ شباط سنة ١٩٣٠

اين تعلم المتنبي

- ٦ -

عرفنا اين ولد المتنبي ، وعلمنا ما تيسر لنا علمه من نسبه وعروبته ، فأين تعلم القراءة والكتابة ، واين طلب أدبه ولغته ، وهل كان لمدرسته آثار في عبقريته ، هذا ما أبحث عنه وأياكم في مجلسنا هذا .

قال ابو الحسن محمد بن يحيى العلوي : كان ابو الطيب محباً للعلم والادب فصحب الاعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدوياً حقاً ، وكان تعلم القراءة والكتابة فليزم اهل العلم والادب واكثر من ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

وقال الشعالي : ذكرت الرواة ان اباہ سألوه الى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ، ومن مدرها الى وبرها ويسلمه من المكاتب ويردده في القبائل ومحابه نواطق الحسنى عنه وضوا من النجح فيه ، حتى توفي ابوه وقد ترعرع ابو الطيب وشعر وبرع . وقال صاحب الطبقات : وأقام بالبادية وطلب الادب وعلم العربية ونظر في ايام الناس .

وقال ابن خلكان : واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطالعين على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ ابا علي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة قال يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقال المتنبي في الحال ، عجلى وظربي ، قال الشيخ ابو علي : « فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده » .

من هذا يتبين لكم ان ابا الطيب قد جهد نفسه في طلب الادب واللغة فكانت له دفاتر يدرسها في الليل وربما مضى من الليل اكثره وهو يدرس وكان كثير الاشفاق على هذه الدفاتر اذا سافر اخذها معه لانه كان قد اتقنها وأحكمها قراءة وتصحيحاً ، ولنا نعرف هذه الدفاتر ولا ندري بما كانت تشتمل عليه ، وانما نقل عنه انه كان يروي شعر ابي تمام ويقول

« او يجوز للاديب ان لا يعرف شعر ابي تمام ، وهو استاذ كل من قال الشعر بعده » فالمنبئ درس كثيراً وقرأ كثيراً فن الشعراء الذين نظر في شعرهم البحتري وابن الرومي وابوتام ومسلم بن الوليد وبشار وابو نواس وابن المعتز والغزدق وعمرو بن كلثوم وامرو القيس والاعشى وبعض رجاز العرب وغيرهم من الذين لا يخلو شعره من رسومهم واني لاجاوز في هذا المقام الاشارة الى ثقافته العامة فأخطى الكلام على تجاربه في الحياة وعلى ماذاقت له هذه التجارب من ضروب الحكم :

اذا ما الناس جريهم لبيب فاني قد اكثمتهم وذاقا

واخطى الكلام على نظرائه الفلسفية مرجعاً هذا كله الى حين البحث من هذه النظرات فلا ابعرض في هذا المجلس الا لآثار مدرسته الاولى في شعره .

للبادية في ثقافة المنبئ آثار ظاهرة على شعره في كل طور من اطوار هذا الشعر فهو ابن البهد والفياني من افق البادية درج خياله ، وفي جو البادية نما هذا الخيال فلا عجب اذا علق بذهنه صور هذه البادية ، الف المنبئ اهل البادية وخیلها ومهاجها ومفاوزها وغزوها وصيدها وسيوفها وقناها ، فلا تجدون في كثير من شعره فرقاً بينه وبين الاعراب الذين صحبهم في التنفي بكل امر من امور البادية ولا يكاد شعره يخلو من آثار صهيل الخيل وقعقة اللجم وصير العوالي ، فالبادية اول مدرسة درس فيها المنبئ وكما ان للبيئة وللزمن وللدم تأثيراً في العقيدة فكذلك التربية فانها لا تخلو من التأثير في الازدهان ، الف المنبئ البادية فلم يخف عليه امر من امورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج اليها ابن البادية في وصف ابله وخیله وسلاحه وضروب ذلك ، وقد رسخت في ذهنه صور البادية من حداثة سنه الى آخر يوم من ايامه ، حتى انه اذا فارق الاعراب وجالس الملوك والامراء والوزراء ، كانت صور البادية ترجع الى ذهنه من حين الى آخر فلست اعرف شاعراً اعند من المنبئ في الحرص على آثار تربيته الاولى ، جالس الملوك والامراء والوزراء فلم يقلع عن اعرابته ، وعرضت عليه الحضارة مشاهد رائعة فلم تنزع به عن بدويته ، فقد غلبت عليه صور البادية فلنبتن هذا الامر على قدر ما ينسجم له مجلسنا .

للمنبئ اربعة اطوار في شعره ، طور وهو يجول في اقطار الشام قبل اتصاله بسيف

الدولة ، وطور وهو في ظلال سيف الدولة وطور وهو في حضرة كافور الإخشيدي وطور وهو في بلاد فارس ، فلننظر في آثار البادية على شعره في كل طور من هذه الاطوار الاربعة .

لما كان المذنب يوجب آفاق الشام ويمدح رجالها وذلك في اول نشأته وتعرعه كانت آثار الثقافة البدوية ظاهرة على شعره كل الظهور فان خياله الذي نما في البادية كان خيالاً على فطرته الاولى فكأنه اعراقي لم يألف الخضر .

برني السرى بري المدى فرددني اخف على المركوب من نفسي جرمي
وابصر من زرقاء جو لاني متى نظرت عيناى سواهما علي
كأنني دحوت الارض من خبرتي بها كافي بنى الاسكندر السد من عزمي
فلاشارة الى السرى والى حدة البصر والى الخبرة بالارض كل هذا من مذاهب
اهل البدو الذين لا يقيمون بقعة من الارض دون بقعة .

اوانا في بيوت البدو رحلي وآونة على قند البعير
فتارة كان يتغنى ببناات الجدبل وبالفتة الجاهل والفلوات .

نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال
من بناات الجدبل تمشي بنا في البيد مشي الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها اثر النار في سليط الدبال
ونارة كانت بتغنى بسيفه :

كفرندي فرند سيني الجراز لذة العين عدة للبراز
نحسب الماء خط في لهب النار ادق الخطوط في الاحراز
كمارمت لونه منع الناظر موج كأنه منك هازي
ودقيق قذى الهباء ابقى متوال في مستوى هزماز
الى آخر ما وصف به هذا السيف .

هكذا كان دأبه في الشدو بأموار البادية ولقد تجلت شئشئته هذه في اراجيزه التي كان ينشبه فيها بالاعراب منها ارجوزته :
ما للروج الخضر ولحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

فكان له حجر تسمى « الجهامة » ولها مهر يسمى « الطخور » فاقام الناج على الارض بانطاكية وتغذر المرعى على المهر فقال المنبي ارجوزته هذه ومن قرأها حسب بدوياً يصف الخليل .

كل هذا من آثار مدرسته الاولى ولقد اثر فيه هذه المدرسة من الناحيتين المادية والمعنوية حتى انه اذا تغزل كان يتغزل بالاعرابيات :

هام الفؤاد باعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا

واذا شبه في غزله جرت على خاطره في الحال تشبهات اهل البادية ، فالرماح والسيوف ادوات يلجأ اليها في هذا الغزل :

من طاعني ثغر الرجال جآذر ومن الرماح دماج وخلاخل

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

على انكم نجدون - في بعض الاحوال آثاراً حاضرة الى جنب هذه الآثار البدوية خالية من السيوف والرماح وما شابه ذلك :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي بصن به الجمالا

وضفة ون الغدائر لا لحن ولكن خفن في الشعر الضلالا

نعم انكم تجدون في بعض غزله وشي الحضارة ونعومتها :

حسان النثني بنقش الوشي مثله اذا من في اجسامهن النواعم

وبسمن عن در ثقلدن مثله كرات التراقي وشحت بالماسم

ليس معنى هذا ان المنبي لم يصف مشاهد الحضرة ولكن البادية شغلت القسم الاعظم من خياله فاذا وصف مشهداً من مشاهد الحضرة طأت الى ذهنه في الحال صور البادية لتضرب مثلاً لذلك .

من قوله في قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم النخعي وقد تصدى لوصف بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة والغور دفي وماؤها شسم

والماوج مثل الفحول من بدة تهدر فيها وما بها قطم

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلقي تخونها للجم

كأنها والرياح تضربها جيشا وغى : هازم ومنهزم
كأنها في نهارها قمر حف به من جنانها ظم

فأنتم ترون انه لما أراد ان يشبه الموج شبهه بهدير الفحول ، ولما أراد ان يشبه الطير وهي فوق الحباب شبهها بفرسان خيل بلق ، ولما أراد ان يشبه الرياح وهي تضرب الطير شبهها بجيشي وغى ، فالفحول وفرسان الخيل والجيش والماء الشيم والقطم كل هذا لا يخلو من اثر بدوي ، واذا أردتم ان تعرفوا الفرق بين هذا الخيال البدوي وبين الخيال الحضري فارجعوا الى وصف ماء اشاعر من شعراء العرب ، ارجعوا الى وصف البحري للبركة ، ومن شروط المقايسة والموازنة ان تأخذوا قصيدتين في موضوع واحد ، اذ انه لا تصح الموازنة بين قصيدتين مختلفتين في الموضوع ، فالمثنوي وصف بحيرة طبرية والبحري وصف البركة ، وقد سمعتم وصف ابي الطيب فاسمعوا شبيها من وصف البحري ، ولا يتسع المقام لذكر الابیات كلها وانما اذكر طائفة منها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احبانا بضاحكها وربقي الغيث احبانا بباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ايلا حسبت سماء ركبت فيها

الى غير ذلك من وصف السمك وعمومه والرياض وبشاشتها ، وانا أنترك لكم الحكم على الفرق بين الوصفين فانكم ولا شك تعترفون معي بان الفضة البيضاء ومضاحكة الشمس وما شابه ذلك انما هو كلام حضري لا اثر للبداءة عليه .

هذا هو الطور الاول في شعره فلننظر الى ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة فقد وجد في هذه الظلال الوارفة أفقا مديدا يسرح فيه خياله البدوي فانه لما اتصل بسيف الدولة سلمه الى الرواض فملوه الفروسية والطراد والمتاففة ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم فتصرف المنابي في وصف هذه الحروب والغزوات ابلغ التصرف اعانته على ذلك امور شتى منها تربيته الاولى ومصاحبته للاعراب وما أثرت فيه هذه المصاحبة من الآثار التي شهدتم منها شيئا في شعره في طوره الاول وهي كلها سبيل مهيمة

الى وصف الحروب ، ومنها مصاحبتة لسيف الدولة في هذه الغزوات فاذا وصف انما كان بصف بعد العيان فاكثر شعره في سيف الدولة وصف فيه هذه الحروب فلا نعرض في هذا المقام لشيء من هذا الوصف لان هذا يأتي في الكلام على شعره ، وانما غرضي في هذا المجلس ان أبين ان المنبئي كانت تغلب على شعره آثار البداوة وان هذه الآثار جاءت من مدرسته الاولى وما هذه المدرسة الاولى الا البادية ولئن كان ابوه يسافر به من البدو الى الحضر فان صور البدو شغلت الناحية الكبرى من خياله ، فهل تبدل خياله البدوي وهو في ظل سيف الدولة ، هل اقل من التغني بالابل وبقوته على السير وماشابه ذلك فلننظر في هذا كله .

لما اتصل بسيف الدولة اتصل بملك قد روي من نعيم الحضارة وترفها فأخلق بابي الطيب ان تظهر على شعره آثار هذه الحضارة فأول قصيدة قالها فيه وصف فيها فائزة من الدباج عليها صورة ملك الروم وصورة وحش وحيوان وقد جلس سيف الدولة على هذه الفائزة فقال ابو الطيب :

وأحسن من ماء الشبيرة كله	حيما بارق سيف فائزة انا شائمه
عليها رياض لم تحكها سمابة	واغصان درج لم تنغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه	من الدر سمط لم ينقبه ناظمه
تري حيوان البر مصطلحاً به	يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه	تجول مذاكيه وتداوى ضرارغمه
وفي صورة الرومي ذي التاج	ذلة لا بلج لا تيجان الا عمامه

فأنتم تجدون في هذا الشعر صوراً حضريه حتى ان غزل المنبئي ظهرت عليه آثار رقة الحضر فقد عدل في غزله عن السيوف والرماح الى الأزهار والرياحين :

سقاك وحيسانا بك الله انما على العيس نور والحدور كئامة

ومنه قوله :

وغضبي من الادلال سكرى من الصبي	شفعت اليها من شبابي يبرق
وأشذب مرسول الثنيات واضح	سترت في عنقه فقابل مفروق

وأجباد غزلان كجيدك زراني فلم أتبين عاطلاً من مطوق
ومنه قوله :

واني لأعشق من أجلكم نخولي وكل امرئ ناهل
ولو زاتم ثم لم أبكم بكيت على حيي الزائل

ولكنه مع هذا كله لم تفارق صور البادية ذهنه فكان يرجع اليها في بعض غزله
فيرجع الى السيوف وأشكالها :

وقد طرقت فتاة الحلي مرتدياً بصاحب غير عزهاة ولا غزل
فبات بين ترافينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثم اغتدى وبه من درعها أثر على ذؤابه والجنن والخلل

ويرجع الى هذه الصور في المراثي نفسها :

نعد المشرفية والعوالي ونقتلنا المذون بلا قتال
وترتبط السوابق مقدمات وما ينجين من خيب الليالي

ومنه قوله في هذه القصيدة :

لساحبه على الاجداث حفش كأبدي الخيل ابصرت الخالي
والحفش والخالي والخبب وارتباط السوابق كل هذا من آثار البدو ولا ريب في
ذلك .

فأبو الطيب في التبدل البشير الذي تبدله وهو في افياء سيف الدولة اي في افياء
النعم والترف كان يعود الى شفتنه في التغني بالابل و بالقوة على السير الى غير ذلك
من مذاهب الاعراب واهل البدو ، فمن وصفه للابل :

وحكمت في البلد العراء بناعج معناده مجنابه مفتاله
يمشي كما عدت المطي وراه ويزيد وقت جماعها وكلاله
وتراع غير معقلات حوله فيفوتها متجفلاً بعقاله
فقد النجاح وراح في اخفافه وغدا المراح وراح في ارقاله

نعم انه لا يكاد ينسي فرسه ورمحه وسيفه وناقته حتى مواطن الغزل :

سلي عن سيرتي فرسي ورمحي وسهني والحملعة الدفاقا
ولا يكاد يذهل عن الخيل والبهاء :
الخييل والليل والبهاء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت في الغلوات الوحش منفرداً حتى تعجب مني القور والاك

هذه هي شئنة المنبئ وهو في ظلال سيف الدولة المبددة فلتنظر اليه لما غضب على
سيف لدولة وراثت به البهد والفيافي الى كافور الاخشيدي ، فلتنظر اليه هل افلام
عن هذه الشئنة ام لازمته في مصر ، اظن انه لم يقلع وهو في مصر عن شيء من هذه
العادات البدوية فقد عاد الى دأبه من ذكر الخيل والقنا والموالي ومماثل ذلك حتى في
اول قصيدته في كافور .

وجردا مددنا بين آذانها القنا فبين خفافاً يتبعن العواليا
تماشى بايد كلما وأنت الصفا نقشن به صدر البزات حوافيا
وننظر من سود صوادق في الدجى يرين بعيدات الشخوص كماهيا
وننصب للجرس الخفي سوامعاً يخلن مناجاة الضمير نناديا
ولما طالبه كافور بذكر الدار التي بناها على البركة بازاء الجامع الاعلى لم يقل شيئاً في
وصفها يسمى وصفاً فكانه يحقر الدور .

مسنقل لك الديار ولو كان نجومًا آجر هذا البناء
ولوان الذي يحرم من الام واه فيها من فضة بهضاء
فكان يحاول التخلص من الوصف الى المديح والوصول الى ذكر الجياد والسميرة السمره
والصوارم البيض والهيحاء

وإسائتك الجياد وما تحم ل من سميرة سمراء
انما يفخر الكرم ابوالمسك بما بينني من العلياء
وبأيامه التي استلخت عنه وما داره سوى الهيحاء
وبما أثرت صوارمه البيض له سيف حجاجم الاعداء
لا بما بينني الخواصر في الري ف وما بطي قلوب النساء

فان هذا الخيال من خيال المجتري في وصفه لقصور بني العباس في بغداد .
 نعم لم يقطع عن هذه الشدنة حتى ولا في غزله فهو لا يجب الا البدويات :
 ما اوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرمايب
 حسن الحضارة محبوب بتطرية وفي البداوة حسن غير محبوب
 ابن المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب
 افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صيغ الحواجيب
 ولا برزت من الحمام ماثلة اورا كهن صقيلات العراقيب

ولما صابته الحى وهو مصر ووصفها لم يغفل في وصفه عن التغني بما يتغنى به الاعراب عادة
 ذراني والفلاة بلا دليل ووجهي والمجبر بلا لثام
 فاني استريح بذني وهذا واتعب بالاناخة والمقام
 عيون رواحي ان حرث عيني وكل بفام راحلة بغامي
 فقد ارد المياه بغير هاد سوى عدي لها برق الغمام

فانتم تروث في هذا كله آثار ما يتغنى به الاعراب عادة فسلوك الفلاة بلا دليل
 واعتماد السير في المجبر بغير لثام والمعرفة بدلالات الفجوة بالليل وعد برق الغمام كل هذا
 مما يفخر به اهل البدو .
 ولما فارق مصر وورد الى الكوفة وصف منازل طريقه فسكان المنبئي متلفع بثوب
 بدوي في هذا الوصف :

الا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيدبي
 وكل نجاة يجساوية خنوف وما يي حسن المشى
 ولكنن حبال الحياة وكيد العداة وميط الاذى
 ضربت بها التيه ضرب ال قمار اما لهذا واما لذا

وكذلك لما رثى ابا شجاع فاتكأ وهو في الكوفة بعد خروجه من مصر اشار الى العيس :
 لا ابغض العيس لكنني وقيت بها قلبي من الحزن او جسمي من السقم
 ظردت من مصر ايديها بارجلها حتى سرقن بنا من جوش والعلم

نهرى لمن نعام الدو مسرحة نعارض الجدل المرخاة بالجم

هل رغب المثنى عن مذاهب اهل البدو في آخر طور من اطوار شعره فانه لما
خرج من مصر وقدم العراق ثم شخص من العراق الى بلاد فارس اتصل بابن العميد
وبعض الدولة وعرف ان الذين يجالسهم في فارس هم غير الاعراب واثار الى ذلك سيف
اماديجه في ابن العميد :

من بلغ الاعراب اني بعدها جالس رسطايس والاسكندرا
وملت نحر عشارها فاضافني من يفر البدر النصارى فرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه متذكراً متبدلاً متخضراً

نعم جالس المثنى في بلاد فارس امثال رسطايس و بطليموس وجارى الفرس في
عاداتهم في التبروز في اتخاذ كليل من النبات والزهر ولبس هذه الاكليل :

ما لبنا فيه الا كليل حتى استسما نلعه ووعاده
وشهد مشاهد تأخذ بجامع القلوب مثل شعب اوان :

مغاني الشعب طمها في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
ومع هذا كله فقد بقي بدوياً فحماً كما كان في صباه شهد هذه المشاهد كلها فلم
يزهد في اعرابته واثن رق غزله بعض الشئ وخرج من الغزل بالبدويات الى الغزل
بالشاميات :

شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها
فقبلت ناظري تغالطني وانما قبلت به فاهها
فليتها لا تزال آوبة وليتها لا يزال مأواها
تبلى خدي كلما ابشمت من مطر يرقه ثناياها
ما نفضت في يدي غداؤها جعلته في المدام افواها

لئن رق هذا الغزل بعض الشئ ولئن تبدل خياله بعض التبدل فما تبدلت اعرابته
حتى انه عاد في القصيدة نفسها التي تغزل فيها بالشاميات الى ذكر الغزو والصيد وقد
كنت تلوث عليكم ابهاث هذا الغزو وهذا الصيد :

ان اعشبت روضة رعيناتها او ذكرت حلة غزونا ا
وعاد الى الثغري بالقنا والطعان :

فاما تربني لا اقيم ببليدة فأفة غمدي في دلوقي وفي حدي

يحل القنا يوم الطعان بمقوتي فاحرمه عرضي واطعمه جلدي

تبذل ايامي وعيشي ومنزلي نجائب لا يفكرون في الفخس والسعد

لئن بدلت هذه النجائب ايامه وعيشه ومنزله فما بدلت اعرابيته ، وارجوزته في
عضد الدولة وقد خرج للصيد دليل على تعلقه باهداب هذه الاعرابية وهي من آخر شعره :

ما اجدر الايام والليالي بان نقول ماله ومالي

فآثار مدرسته الاولى ظاهرة على شعره من ابتداء امره الى منتهاه .

دمشق : في ١٥ آذار سنة ٩٣٠

المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية ^(١) »

- ٢ -

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب و يثلثذ بجلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخلها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تختصر فيأكلها متخمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهو به سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما نال منها وطراً يجمد فيفصلها طلباً . وكما رشف منها وشلاً نظى لكسها ظمأً . وكما ارتقى في الحضارة بآغا زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اعتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إفسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدتها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي الممات . فأعجب بها من معشوقة ممقوتة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مملوكة ، وطريدة منشودة ، ومباعدة محرمة ، وعاهرة مشرفة ، لا يضمنها الوصل ، ولا يفسد من ملاحمتها الدهر . بأنيتها المرء لازل مرة بمعاملة او تشبهها ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فليت شعري ما علة هذا الولوع بذلك الممنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاسباب : منها ما هو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ما هو نفسي . فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغوليين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشد الى شرب الخمر من احتياج

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ نيسان

الشرفيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمر ادعى الى انتشار معاقرتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعة او عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحس التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسانية ، وهي لعمرى العامل الأقوى في انتشار المسكرات ما بين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تحقق اهواء الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لان التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء إتيان ما يحالفها مما تشتهي نفسه ويصبو له قلبه ، ونضطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى ما يستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى ما يستدعي القصاص والدمار ، فلا تليح للوضع الطموح ان يكون ملكاً تعوله الرقاب ولا لفقير ان يكون غنياً يتنعم برغد العيش وأبهة الحياة ، ولا للغني ان يدفع بماله مرضاً عضالاً أو يستموي به قلب غداة فتاة ، أمرته لحاظها ، وأقصاه عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مسمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف بيده ليشفي ببطشه غلة ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسده رمقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار لتأجيج من الحب والهوى . الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كانت تحقيق كل هذه الاهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي نسبة شخصية وبات الشقاء البشري عاملاً لا يخفى وطأنه الا الايمان بالسعادة الآخرة وفسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والنحقق فيسبب بهذا المنع تملل النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل . فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين ولاحكام ، ومخالفة التقاليد والعادات ،

وهتك الشرائع والادبان ، وتحمله على حرمتها . رعابيتها هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للآداب والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، ويحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تقنى بل تستحيل الى قوى كامنة مبهمة لاشعورية ، لتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف دائم مع العقل بغية الظهور والتحقق ، فينشأ عن هذا الجدل اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تحليله وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ بعقل . ولا مشاحة فهل الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي نتملح منها اليوم كل انسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للجانين .

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقوله : تصفوا الحياة لجاهل أو غافل عمل نفي منها وما يتوقع
وقوله . وبعض العقل عقال :
وقول ابي جعفر القمي :

تحمق نطب عيشاً ولاتك عاقلاً فعقل النقي في ذا الزمان عدوه
ولابي الربيع محمد بن علي الصفار البلخي :
طاب عيش الرقيم في ذا الزمان والجهول الغفول والصفهان
وانشد ابو منصور مهمل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحق وفي زوال العقل والخرق
فمن اراد العيش في راحة فليلزم الجهل مع الحق
وجاء في النظرات للمنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في
هذه الحياة العقلاء ، ويقولون ما لذة العيش الا للجانين ، اندري لماذا ؟ لان نصيب

الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين . وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استقرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى ما بين يديه من الحقائق الملموسة . ولا يسمح له عمله باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفة ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار الهناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤمنين ، ولا يتلذذ بتصديق ما لا يكون نلذذ المجانين » .

ولما كانت الغرائز الحيوانية تأبى ان تضحل ونفني بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يقلص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاهتمدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والغول الذي نحن في صدده . وقد نفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسم دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنونا اختيارياً موفوناً .

قال المنفلوطي في كليمه الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المومنين بتخدير أعصابهم . كشاربي الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الأفيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة بتخللها شقاء . الا انها خير عندهم من حياة شقاء لا بتخللها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس هذا الجمل الفقير من الشعراء المتخيلين والعابدين المتبتلين .

لا يجد السكير لذة العيش وهناته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف ، يرى فيه كل ما تشتهي نفسه ان تراه . فان كانت قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابصار وفننة الظنار ، وان القلوب محقة على جماله ، تخليق الأطياف على الأشجار ، وان كانت فقيراً معدماً لا يملك فلساً واحداً نوم انه جالس على عرش الملك ، والوصولان في يمينه ، والتاج فوق رأسه . واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المحلكة بأسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يستعبه على وجهه الى غرفة السجن . يقضي فيها ابلته .

وجملة القول ، ان عينه لا تقع على ما يحزنه من المنظورات ، وان أذنه لا تسمع ما ينفره من المسموعات حتى ليري الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء . ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الغناء .

فالسكر هو والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغير الأفعال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهديان ، الى الخدر والخليل ، حسب كمية المادة المسكرة وكميبتها وحالة الشارب ومزاجه . واليك صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الغول حسب الادوار الحادة التي يجنازها . وهي تقسم الى خمسة أدوار دور النشوة ودور التمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج .

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الغول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبي . وتلصف بنشاط الجسم وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضي العينان . ويزداد عدد ضربات القلبية ، والمبادلات النفسية ، وتقدر الأعصاب ، وتسكن الآلام . ويشعر المرء بحرارة لطيفة في جميع أعضائه ، وخفة في جسمه ، ويحتمل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه ، وتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسب في تداعيتها . وتوفد الفاكرة وتسرح الخيلة . فيذكر ما كان ناسياً ويتدع من الصور الخيالية ما لا يقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محامدته ويميزته فيستولي عليهما الضعف والخفة . فتأتي قياساته واهية لسرعة الحكم ، وتحول البسابة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . وبالنظر لخطر النافذة والمراقبة لتطلق اهواؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيهوح بكثير من أسرارها التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الغول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائهم . ويعتري السكر في هذا الدور الغرور والأناية ، والغرسة ، فيمسي مريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محباً لللدح والثناء اللذين يدفعانه الى الكرم والامراف . والغول يحل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصناعي وباطنه المكتوم . ومن الخطأ الفادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء

لا ينضج الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم ونزعاتهم الجبلية والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة لتطبق على كل امريء في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يثقل بها اثناء السكر ، وان الغول خير كشاف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتمان . وكثيراً ما يتوصل به الدهاء الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وجنائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بالخلل قوة العقل والمرافقة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيمية على اهوائها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيال ، دور الانطلاق والانسراح ، المتعارف في الاندبة والمجمعات العامة والخللات الرحمية واخفاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشبية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، او الجئة السبعية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم الخشن ذو الثقاة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور الثمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هذا الدور بنحمود النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارذ الفكر والعواطف اما الثمل فهو طائش الشهوات والفرائز ، لا سجا الحس النساسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على اتانته وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالنقب اليد والآداب العامة ، فيبسط من الممنويات الى الحسيات ، ويتعرض لما فيه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشتم والضرب والقتل ، في سبيل المرأة في المرافص وعلى موائد السكر عنا بغربة ، واذا اضعنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القسوة والخيلاء وسرعة التهيج وعدم الشعور بالواجب لتجلى لنا صورة الثمل باجلى مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تخمد ما عدى الخيلة فانها لتطلق بصورة خاصة ، فيأخذ الثمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف عما يشاهد في الهذيان الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تخرج الغول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير

السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتفقدها ، وتعترى السكر الرعشة والاضطراب فلا يتجاسك في المشي ، وتختل موازناته ، ويسترخي كلامه ، ويتداعى الى الجمود والتخمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخدر الدال دلالة واضحة على ان المسكرات الغولية مخدرة وليست منهبة كما كانت بظن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكر ثمة فواء الحركة ويصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما هوي به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياة الذاتية المبهمة ، يقبض يديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التماس من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فهاهي الاهنيات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقد حياثها العملية . وينزل بالسكر من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يقتل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المفجعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبيل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة انصعد ، ونبضات قلب خائر لتابع ، تنتشر منها رواشح كريهة لفلج مصرفي البول والغائط مما نقضى لمنظره الاعين ، وتجم وصفه الاذان . هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي يتجلى بها السكر منذ اول فطرة يتجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث مجموعها ونتائجها احوال سفينة في عرض البحر اصابتها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكذب يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعترى روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تنوال عليها الزواجع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجعها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لا تلبث ان تجرب وتصير الى الفرق . وهكذا غد السكر ايها السادة فان الاعراض التي اتبت على ذكرها ، نثلاشي رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده . منه بالافراز والمبادلات عى اختلاف اعضائها

فيعود المرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحتراق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء بايديء بدء لدقته ولكنه يتفاقم و يظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول وكيفيته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمّة اعراض داء السكر المزمن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم النافع . وبدل دلالة واضحة على ان تلك المصرة الاولى او الرشقة المشبهة الصحية المباعدة لا بد لها من ان تترك اثراً في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فتنشأ عنه حسرات وآلام تنسي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلاني (Mellany) تراكم فعل المقادير القليلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام ١٩١٨ كما اثبتت احصاءات شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصريف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدميين ، وتعد هذه الاحصاءات اليوم حقائق علمية راهنة لانها قائمة على اسس من المشاهدات مكينة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

الغولية - ويبدأ داء السكر المزمن او الغولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . ويتجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، فترى ذلك الشاب الملهب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثلاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتملص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يألف معهم من الناس ، وينقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، وتحشن معاملته ذويه ، ويحمل واجبه نحو أسرته ، ويكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يبلذله شرب المسكر ، ولعب الميسر . وقد جعل فريق من الحكماء هذا العنة الاخلاقي العرض الاساسي للغولية المزمنة . وقد دعوها الجنون الاخلاقي المكفسوب . وذلك لان

الاختلال بهم فيها جميع اقسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع أسرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية .

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فاهمها : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بها وفقد الارباء ، والشرف والمروءة والنخوة والوجدان والنزاهة والعفة ، والنظافة والحشمة وحسن الجمال ، وحرمة المبادي العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهديب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقى والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .

واما فساد علاقاته مع غيره : فيتجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمفاداة والرأفة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي للكسل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادي العامة .

انصف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور ومسرعة التأثر ، وسوء الظن وانقباض النفس ، وحمل الامور على غير محملها ، والاستئثار بالرأي ، والفكر الثابت والفعالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوي الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمن .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا مع ضعف الملكات العقلية ولا سيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والدأكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني ويتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله ويتداعى للاهمال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . وترى ذلك الرسام الذي كان يتبدع من المناظر ما يفتن النظر ويحجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببنيانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس ويتلاعب بالقلوب يتدهورون رو يدأ رو يدأ بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى مراكز الحواس فيسمها فيسمي الغولي مسيراً يحواس مريضة ينشأ عنها خطأ الحس

والاوهام السمعية والبصرية والدوقية والمسية ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكاوس الاولى حتى الجمالة ، وقد يهون الخطب فيها لو كان هذا الداء فردياً يعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تتعدى الفرد الى سواء . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد ويهدد الأسرة والحياة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهدار كيانها . ولقائل يقول ان من الامم من تنعاطى المسكرات من آلاف السنين وهي لم تزل حية تتمتع بقوتها وفرط عظمتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الأمم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يسج ببعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٢٨ عرض الغول للبيع لأول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم ينفش في اوروبا الا في القرنين الاخيرين . عندما امتدت الصناعة الى استحصاله بنقطير الحبوب والشمندر . ولان الحياة باتت فيها ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمغالبتها الى الالتجاء الى منبه صناعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضة لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية - فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسويجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام بوصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضاره .

اما الاقدمون فلم يكونوا يشربوا سوى الخمر الصرفة الخلو من الغش وقد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لا يحوي سوى ثمانية أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كميات عظيمة من الخمر مما لا يعاينه كل انسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالكسل والافرنجبي حديث العهد أقرنه مشاهدات العلوم

الاجتماعية والاقتصادية والطبية ، ولكن الغولية ادمى وانكى لانها لنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و . . .

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بأنه ما من انسان يرتاب اليوم بأن الغول يحدث استحالة في كل من حجيرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أبدت المشاهدات والتجارب العملية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كونبال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام ١٨٨٨ مانصه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتى ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . ويسترخي الصفن وعضو التناسل ويندر وجود الحويصلات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في المبيض ويختل نظام الطمث اي الحيض وينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & hchopper) من جامعة فيينا بتجارب عديدة على الحيوانات ، فأسكروا واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً في المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدوا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع اعضاءها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل حجيرات المذوبة .

وذكر الاستاذان ويشلباوم وكيرل من فيينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثهما عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخریباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابدأ بفقد الافنية المذوبة .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على اعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص الجهري ان معظم التخریب واقع في الخصى بالنسبة لساكن اعضاء الجسم .

ولقد تلخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبتسرة في الخصى تنتهي بضمورها وبفقد الحويصلات المذوبة .

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادئ الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الافنية المذوبة .

(٣) ويحدث هذا التخریب عينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر الغولي .
وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في
اعضاء التناسل بتأثير الغول حقيقة راهنة لا تقبل النقذ ايدها التشريح المرضي والطب
السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة .

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت
معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً
مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي تنموها في بطن
الارض عاطلة بان الثمر الذي سنثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب
في ذلك .

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها
ومقاومتها . قال لادام (Ladame) كانت شربعة قرطجنة تحرم على العروسين شرب غير
الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل . وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة
السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون
فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد ، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس
وقال ابن عبد ربه في عقده الفريد : وربما بلغت جنابة الكأس الى عقب الرجل ونجسه
وكان المأمون يقول : يانطف الخمار .

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد العصبية
المطبوع في ليبسيك عام ١٩٠٣ : ان رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر في
حياته الا يوم وضع هذا الولد . مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في
استحالة النسل .

وذكر سبانية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة
الآتية : رجل عفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة
التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم
توازن النفس .

وقد ابدت مشاهدات بزوولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية

القديمه فانه درس ترجمة حياة سبعين فدماً اي ابلة فوجد ان النصف منهم بضعوا في حالة سكر الابوين يوم عيد المرفع والباقيين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فاشاهد ان خمسين في المائة من البله بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس مولير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم بضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .
وذكر سيبيلش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقيون مصابون بآفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسمكرها برائحة الغول بعد نصعيده فاشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضاؤها التناسلية فقد حدث فيها استئصال ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لميئته والدبه مما يسمونه عجيبة .

و يطول بنا البحث اذا اردنا ان نأتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتقدمة العظمى في هذا الموضوع وكله يثبت استئصال البذور المنوية عند الرجل بناءً ثير الغول ويدعو الى عدم ملامسة النساء اثناء السكر الشديد منعاً لفساد النسل وحفظاً لسلامته ، ولهذا أنقل من هذا البحث الى مضار سكر المرأة بالنسل فأقول :

الغولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأنت سكر الام اثناء الحمل بفعل سيف النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستئصال ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بيان في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسمه ويعرضه للغولية الولادية .

وقد اثبت كومبال (Combemale) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب

علمية مشهورة ، منها انه اسكر كبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فالتجت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخضية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطالب تجارب اوسكار ريدل وغاردينر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على بعض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدوا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استئصال الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغستين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : اني عهد على نساء فينا كن فيه مولعات ولعاً شديداً بالكلاب القزمة اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها اصغرها كلاب الاكام . لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في اكامهن . وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلاب السكيرات تلد جراءً صغيرة الجثة . فاستفاد احد اصحاب المعامل من هذه المشاهدات فأسس معملًا لانتاج الكلاب القزمة ، وقد كان يصدر كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل .

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعثه التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعة الرجل من جراء جماعه في حالة السكر .

الغولية بواسطة الرضاع . — وهنا ننقل من الجنين الى الرضيع انشاهد الغول بنسب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدم فما من طبيب في جميع انحاء العالم يعافي طب الاطفال الا ويحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد ويحصى . ولبدت هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط . بل هي سليمة التجارب والمشاهدات القديمة العهد . فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الاطفال وسلامتهم . وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع معها كميتته التي تشربها . وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لا تزيد على ربع ساعة من تناوله .

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن الموضع السكير سم قاتل للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر . منها ما ذكره فرلي (Vernay) في ليون مديكال عام ١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلاً باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته . فأجبرت الموضع على ترك النبيذ مدة فشفى الطفل . ومن ذلك ما ذكره ديفوازين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورمانديا تزداد من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المرضع اللاتي يتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الدرة . فيعرضون بمعلمهم هذا اطفالهم لانواع الآلام والآفات . ولا يفحص ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلاً خاصة الارضاع وهذه حقيقة أبدتها مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاؤه العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضممها الى استقراآته . وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدينت الاوربية المركبة ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية . ون انتشار الغولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الارضاع هذا سيؤدي حتماً الى تليخنتين مؤلمتين احدهما أخلاقية وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الارضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة ونداعي كيان الامة . وقد أبدت نتائج بونج (Bunge) هذه مشاهدات ستمبفس (Stumpffs) في بافيرا بلاد الجعة . فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تضخماً شحمياً في الثدي يجعلها غير صالحة للارضاع .

الغولية وفيات الاطفال . — ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي نشأ عن

معافرة الغول موت الأجنة في الأرحام وفطر وفيات الأطفال . وقد جاءت استقرآت لوليفان (Lullivan) مؤيدة هذه الحقيقة المؤلمة . فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة لتعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد . فشاهد انه لم يعيش منهم سوى ٢٦٥ ولداً . اما الباقيون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٥٥/٨ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي ٢٣/٢ في المئة . وتعظم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين المزمين . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغولية اللواتي لا يعيشن لمن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاءات العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٢٠٠٠٨ أولاد فشاهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسرة التي لا تعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في المئة وان نسبة الوفيات في الاسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ٢٣/١٧ في المئة . وان هذه النسبة تصعد الى ٣٣/٢٠ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل وضمحلل الامة .

استحالة النسل الغولية . — ولننقل الآن من الماهية الى الكيفية لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم ونفوسهم . فقد سبق لنا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يهصد الا ثمر فاسد . ونظرة خفيفة في احصاءات أطباء المدارس في المالك الراقية ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، واحصاءات المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلمة .

قال بورنفيل (Bourneville) انه استقرأ حياة ابوي الف قدم اي ابله منشاء بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانوا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة .

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيو يرك (٦٣٠٠٠) تليد - في المدارس فشاهد ان ٥٣ - ٧٧ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس براين هم من آباء سكيرين . وبالنظر لفاسق عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوروبا واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، بعهد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائهم . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الأضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة وبثقل كاهل موازاتها السنوية .

الجنون والغولية . — وقد لا نعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً نجاه ما ننفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً ، ولغة من انقراض البشرية الذين كان الغول من اكبر العوامل في تجريدهم من الانسانية ، والزام البشرية لهم ، مما تضطرب لهولة القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره ماينان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون النافسي عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى صانت آت .

وجاء في الاحصاءات الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) وماينان (Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجي فطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاءات سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء . وجاء في احصاءات ملاجي بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاءات ملاجي انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٢٦/٣ في المائة عند الرجال و (١٠/٤) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) للملاجي ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام

١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و ٥/٩ في المائة عند النساء .

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشغل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/١ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول .

واليك الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيو يورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره . فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاحي نيو يورك خلال سنة ١٩٠٨ — ١٩٣٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت . ثم اخذت لتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات .

تلك فطرة من وابل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاءات التي قام بجمعها وضبطها جهاز امة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم . وكما متضامر متضامن على تأييد حكمة تلك الآلة الكريمة (واتهما اكبر من نفعها) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والاسرة والامة ، وان الغولية داء عضال نفش في هذا العصر في الامم العظمى نفشاً مريعاً لاعهد للتاريخ بمثله في الازمنة الغابرة . وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر . وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبسرة لم تتحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا ببعيد .

قال لگران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك يهدد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فتلتهمه) (فن ذا الذي لا يعلم ما فعله مستعمرو امريكا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء . ومن ذا الذي يجهل ما نصنعه بالاسود في مستعمراتنا الافريقية وما نحاوله بالعرب . ومن يجهل ما صنعه

الاسوجيون مم اللابون ٠ « الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك ٠ فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نخمد السود بخمورنا وغولنا ٠ ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بفساد الامم القوية منقضي هي نفسها بهلاك هذه الامم القوية (ما دامت مؤدفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا لنقص عنها » ٠

وبما تقدم بانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان المضار عظمى ومنافع ضئيلة ٠ وتختصر هذه المنافع بامرئين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منه ٠ اما القول بان الغول غذاء فقد ابطاله تجارب روبنير (Rubner) التي برهنت على ان ما كل ما يشتغل في الجسم بعد غذاء ٠ وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح انوار وبنديك نفسهما وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول بعد غذاء لا يحترق في الجسم فهو غذاء سيء غذاء مكروه لانه يخرّب الجسم اثناء اشتعاله فيه ٠ وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا بأسف كثيراً لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقه لاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة ٠ اجل ايها السادة ، ان الغول منه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والمهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجسام من التفاوت ولما بطراً على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناوّلها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعالها وبضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كميتها تدريجاً فيتجاوز بعمله هذا الحد الصحي ويعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها ٠

واذا كان في الامم افراد قليلون ذوو إرادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال افراغ

أضرَّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يثْلُوبُ للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعه وباعته عنواناً لدعايتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهبون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية .

فن الفضيلة والانسانية اذاً ان يغادي هذا الفريق العاقل بتلك اللذة العارضة كي لا يكون طعاماً في شراك الغول يغتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة .
وقد اهاب نذير هذا الخطر المدام بالام الاوربية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السر ، سر الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية . فاكبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظمت العقاب وقامت للداعي كما للداعي الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس برائته ، كما نشعب الياف السرطان في الجسم فبات الويل في نزعه والموت في تركه .

جيوش جرارة من علماء اسانذة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين ومُحَدِّين نساءً ورجالاً شبيهاً وشباناً يلبون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهناك في سكاندينافيا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والمزلية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هنالك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشباب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يعدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Bereau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هنالك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تنضم الى جسمها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكن " في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيبته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذوا بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمنفاذة ما لم يتجل في امة من امم التاريخ القديم والحديث .

وبينا نار الحرب لتأجج في اوروبا وامريكا لمقاومة الغول ومطاردته نرى البلاد العربية المتقدمة هذه الغادة الاسيرة الفتانة نتجه بكيتها نحو هذا العدو الافى كأنها استلات ملامسه ولم تستنكر اواجهه ، او كأنها سمت الحياة فراحت لتطلب من ممه مخرجاً منها . وفي ذلك لعمري منتهى الجبن ، واقصى الغباوة ، وابشع خيانة .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٨ -

الجسم الذي له شكل مخروطي والذي يكون في إبط ورقة النبات هو اما عين او برعم .
فاذا نفقح عن محور خشبي واوراق سمي عينا وبالفرنسية (Oeil) اما اذا نفطر عن زهرة
فهو البرعم والبرعم وبالفرنسية (Bouton à fleurs) وبلاخط ان لفظة « العين »
لم نضعها نحن ترجمة للفظ الفرنسية (Oeil) بل هي موجودة في كتب اللغة القديمة حيث
كانت تستعمل للمعنى المذكور .

واذا نفخت العيون او البراعم فقد اكحت وفطنت وانضرجت وانفصدت وفقحت
ونفطرت وهو بالفرنسية (Bourgeonnement) .

والاغصان التي لنضرج عنها العيون اصناف : ولكل صنف منها اسم في فن تقليم
الشجر . والالفاظ العربية القديمة التي تدل على اشكال الاغصان لا تشتمل على المعاني
الفنية الحاضرة للاشكال المذكورة ولهذا لا بد من حصر المعنى الذي هو في المعاجم او
التوسع به حتى يكون لكل معنى من المعاني الفنية لفظة عربية خص بها . فالعين في بدء
نفطرها غرنوق وبالفرنسية (Bourgeon) وهو غصين لدن يسمى غرنوقاً ما دام
صغيراً طرياً .

واذا كان الغصن صغيراً طوله سنتيمتر الى ثلاثة سنتيمترات وكان غليظاً منفضاً سهل
القصف بينه وبين فرع الشجرة زاوية قائمة فهو الخوط وبالفرنسية (Lambourde)
ويكون الخوط في الدراق والخلوخ والكرز محتوياً على كثير من البراعم الزهرية فيسمونه
في فرنسة « باقة ايار » .

ومن الاغصان غصن مثمر صغير طوله ٣-٨ سنتيمترات اما غليظ صغير العيون
والبراعم الجانبية كبير العين العليا يكاد يكون بينه وبين الفرع زاوية قائمة . وهو اجود
الاغصان المثمرة في التفاح والكمثرى والسفرجل . يسمى بالفرنسية (Dard) ورايت
ان نسميه الفحلوج .

ومنها غصن دقيق سهل التلوي يبلغ طوله ١٠ سنتيمترات الى ٣٠ سنتيمتراً وبينه

وبين الفرع زاوية منفرجة . وتكون براعمه العليا صالحة للازهار في النفاخ والكثيري
اما براعمه السفلى فتختلف . وفي الدراق تزهر جميع براعمه . ويسميه الفرنسيون
(Brindille) وارى ان تخصه بلفظة السلوج .

ومنها غصن قوي يتراوح طوله بين ٣٠ سنتيمتراً ومترين ويكون مع الفرع الذي
يحملة زاوية حادة . وهو لا يزهار على الاكثر ويسمى بالفرنسية (Rameau)
وبالعربية الخرب والغصن .

ومنها الذي ينشأ من عين عرضية او زائدة على الفروع والسوق وهو سريع النبات
مضر في الغالب ويسمى الغصن العرضي او الطفيلي (Rameau gourmand) .
ومنها الذي يحمل عيوناً وبراعم معاً وهو مفيد في الدراق لكنهم يقلون في النفاخ
والكثيري واسمه الغصن المختلط او الشامل او المشترك (R. mixte) وفي شاخ الغصن
وقسا ونشأت عليه اغصان فهو فرع او شعبة (Branche) وهاك خلاصة الالفاظ المذكورة
مع ما يقابلها بالفرنسية :

Oeil	العين
Bouton à fleurs	البرعم
Bourgeonner	اكح وقطن وانفجر وانفصد وفقح ونفطر
Bourgeon	الفرنوق
Lambourde	الخطوط
Dard	الفلوج
Brindille	السلوج
Rameau	الخرب والغصن
Rameau gourmand	الغصن العرضي او الطفيلي
R. mixte	الغصن المختلط او الشامل او المشترك
Branche	الفرع والشعبة

وفي فن الحراج الفاظ تدل على الحرجة في حالاتها المختلفة كأن يكون شجرها صفاراً
او كباراً ، منفردة او ملتفة ، نامية من يزور او من أرومة الشجرات المقطوعة الخ . ولم

أجد في المعاجم الفرنسية العربية ألفاظاً عربية صحيحة مقابل ما يستعمله الفرنسيون من الألفاظ للمعاني المذكورة . ولذلك رأيت ان نستعمل لها الحروف الآتية مع التوسع أو التقييد وهي :

الحرّاجة ج حراج وأحراج وحراج ومحاريج لجماعة الشجر على الإطلاق وهو بالفرنسية (Bois) أو (Forêt) ومتى كان شجر الحرّاجة طوالاً ضخام السوق يزيد قطر الساق على ٢٠ سنميترًا وربما يبلغ ٥٠ سنميترًا فالحرّاجة هي غابة وبالفرنسية (Futaie) . وتحصل الغابة من البزور لا مما ينبت على أرومة الأشجار المقطوعة . وقبل ان تكبر أشجار الغابة ونضج سوقها أي عندما يكون قطر ساق الشجرة دون ٢٠ سنميترًا فالحرّاجة تسمى أجمة وبالفرنسية (Perchis) .

وقبل ان تبلغ الأشجار قد شجر الآجام أي عندما تكون شجيرات مثبكة الأغصان مختلفة الطول فهي غيل وبالفرنسية (Fourré) . هذا كلها في الشجر التي نبتت من البزور فاذا نمت في عجز الأشجار المقطوعة أي كانت فراخًا أو أرادًا فالحرّاجة تسمى خيسًا (Taillis) . وهذا الشكل لا وجود له في أشجار الفصيلة الصنوبرية مثلاً لأنّها لا تفرخ بعد ان تقطع . والعيبص جماعة الشجر ذي الشوك ج أعيصاص . ولعل ما يقابلها بالفرنسية لفظة (Broussaille) فهي تطلق على النباتات الشاكة التي نبتت في الحراج . وتلخص الحروف المذكورة مع مقابلها بالفرنسية على الصورة الآتية :

Forêt	الحرّاجة
Futaie	الغابة
Perchis	الأجمة
Fourré	الغيل
Taillis	الخيس
Broussaille	العيبص

آراء وافكار

اصل لفظة «عربية»

ما كدت أطالع في مجلة المجمع العلمي (٩ : ٣٥٦) قول القائل (ووضع ابن بطوطة ايضاً العربية للمجلة التي نقل الركاب) حتى خشيت ان يسري هذا الوم الى سواء تجثت في نبتتي السابقة (ص ٦٩٩) أسأله عما اذا كان ابن بطوطة هو الذي وضع هذا اللفظ ؟ فبينت هناك ان ابن بطوطة ليس من اهل الوضع وانه راوٍ لهذا اللفظ لا واضع . ولما كان الشيء بالشئ يذكر استطردت الى قول حضرة الأب انستاس الكرملي ان لفظة (عربية) تركية الاصل (المشرق ٥ : ٥١٩) او تركية التركيب والوضع كما يريد الآن (لغة العرب ٨ ص ٢٨٦) وذهبت اذ ذاك الى انها من اصل سرياني وذكرت ما قاله لغويو السريان في مادتي (ايزرا وعربا) ملحقاً ذلك بما قاله احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة العثمانية) عربية خطأ لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارايه) وهذا يؤكد ما قلته : لاظن العربية من اصل تركي مذبلاً كل ذلك بما قاله العلامة الزبيدي في التاج : والعربات سفن رواكد كانت في دجلة النهر المعروف . وهو ما قاله العلامة بن منظور في لسان العرب . بقصد ان اثبت ان ما ذكره لغويو السريان لا يتعدى ما قاله لغويو العرب في مادة عربية . وقد كنت حينذاك وقفت على نص ياقوت الحموي في معجم البلدان في شأن عربية حيث قال : والعربية بلغة اهل الجزيرة السفينة تعمل فيها ربح في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور يدبرها شدة جريه قال (وهي مولدة فيما احسب) والاولى انها اعجمية كما ترى . وقد قلت عندئذ وهذا يحقق ما قاله لغويو السريان (جناح دولاب العربية) في الماء ويرجع ان اللفظ اعجمي وقد كان معروفاً في بغداد خاصة . فظهر الآن من قول ياقوت انها كانت معروفة في الجزيرة ايضاً . وان اصل اللفظ من لغة اهلها اي السريانية . وقلت اخيراً ان العربية كانت من اعتاد^(١) الحرب عند الشعوب القديمة فتوسعوا في معناها ونقلوها

(١) انكر الأب انستاس الاعتاد جمعاً لعتاد وانا اكتفي بما اثبتته اللغويون في هذا

من معنى الرحي التي تكون في الماء الى معنى المركبة او المجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى . على ان الأب انستاس الكرملي لم يرقه كل ذلك فعاد في مجلته لغة العرب^(١) يؤكد ان العربية تركية الاصل وانه لما قال تركية لم يقل انها كذلك بلغظها الحالي بل اراد ان يقول تركية التركيب والوضع . . . الى ان قال : اما ان العربية تركية فهو لا يشك فيها لانه رآها مدونة بهذا المعنى في كتاب (ديوان لغات الترك) لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) وادى في اواخر المائة الحادية عشرة قال وانت تعلم ان المؤلف تركي صنف كتابه في بغداد نقل الفاظه عن الترك كما تعلم ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان الا بعدد

الجمع قال في لسان العرب الاعتد جمع قلة للعتاد وهو ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب للجهاد ويجمع على اعتدة ايضاً . قال : وفي رواية انه احتبس ادراعه واعتاده قال الدارقطني قال احمد بن حنبل قال علي بن حفص واعتاده واخطأ فيه وصحف وانما هو اعتدة (اي جمع قلة) وجاء في رواية اعبد بالياء الموحدة جمع قلة للعبد . وفي معنى الحديث قولان احدهما انه كان طوباب بالزكاة عن اثمان الدروع والاعتد على معنى انها كانت عنده للتجارة فاخبرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) انه لازكاة عليه فيها وانه قد جعلها حبساً في سبيل الله . والثاني ان يكون اعتذر لخالد ودافع عنه يقول اذا كان خالد جعل ادراعه واعتاده في سبيل الله تبرعاً وقرّباً الى الله وهو غير واجب عليه فكيف يستجيز منع الصدقة الواجبة عليه اه . وقال في المصباح « واخذ الامر اعتاده (بالفتح) وهو ما اعده من السلاح والدواب وآلة الحرب وجمعه اعتد واعتدة مثال زمان وازمن وازمنة . وفي حديث ان خالداً جعل رقيقه واعتده حبساً في سبيل الله . ووردى واعبده بالياء الموحدة والاول اظهر للحديث الصحيح . اما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس ادراعه واعتاده في سبيل الله اه بلغظه وهذا كاف لاثبات ان اعتاد جمع كثرة للعتاد وانه جاء في كلام القوم من اقدم الايام . ولا ابالي بعده سائر ما جاء به الأب انستاس من هذا النمط فاني لا اريد ان اجعل مجلة المجمع ميداناً للقال والقليل كما لا ينبغي .

(١) سنة ٨ جزء ٤ ص ٢٨٥ وما يليها واعاد نشر رده ملخصاً في مجلة المجمع العلمي .

مئات من السنين ٠٠٠ الى آخر ما جاء به وانا ارى انها سر يانية الاصل اخذها الترك عن السريان وتوسعوا في معناها ونقلوها من المعصرة والرحى في الماء الى المركبة والعجلة . لا يجهل الخبير ان السريان المشارقة او النساطرة قد كانوا على اتصال بالترك ، قال ابن العبري في مختصر الدول (ص ١٣٥) وآمن بعد هؤلاء أصناف من الترك ايضاً . وجاء في سيرة مارآبأ (سنة ٥٤٠-٥٥٢ م) ان خان الهون البيض « وهم جيل من الترك كانوا يتوطنون بكثريانة » أرسل الى جاثليق النساطرة مارآبأ المشار اليه يطلب منه ان يرسل اليه أسقفًا ينهر القبايل التي كانت خاضعة لسلطانه ففعل وأنشأ أسقفيتين في هراة وسمرقند (سيرة مارآبأ ص ٢٦ وكتاب لاهور ص ١٨٩) ومن سعى لتوثيق عرى العلاقات بين الترك والسريان المشارقة طيموثاوس الكبير في أواخر القرن الثامن فقد ذكر في احدى رسائله سنة ٧٩٢ م ان أمة الترك نهضت على يدي أساقفة ارسلهم اليها وروى نوما المروجي في كتاب الرؤساء (ص ٢٥٢-٢٦٣) ان شوبها المشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموثاوس الكبير الى جهات الهرقانيين والأتراك فنهض كثيرين وشيد الكنائس . وقد نبهه اخواه بباهاالا وكرداغ اللذان سقفاها طيموثاوس الموما اليه وأرسلها الى بلاد الأتراك صحبة خمسة عشر راهباً من دير مارآبأ .

وفي تاريخ بطارقة المشرق لماري بن سلمان ان طيموثاوس دعا الى الايمان خافان ملك الترك وغيره من الملوك . ومنذ ذلك العهد ترى للنساطرة عدة كرامي أسقفية في بلاد الترك وماجاورها عددها عمرو بن متى في تاريخه المعروف بالمجدل (ص ١٢٦) وانا لا أقصد تبين انتشار النصرانية بين الأتراك بل أنوحي ذكر اتصال الترك بالسريان المشارقة او النساطرة من أقدم الايام فلا عجب ان استعمار الأتراك من السريانية بعض الالفاظ كما استعماروا كثيراً من الالفاظ الفارسية والعربية وغيرها .

ومن المقرر ان الترك كانوا في العراق والجزيرة بل في بغداد نفسها . قال ابن خلدون ان الترك عند الفتح (العربي) لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة ايام سائر دولة بني أمية وصدرأ من دولة بني العباس فامتلاأت أيدي العرب من سبيهم واتخذوهم نولاً^(١) في المهن والصنائع ٠٠٠

(١) المجمع لعل صوابه 'ندلاً او خولاً' .

ولما كانت بغداد قاعدة الدولة العباسية ادنى الى بلاد الترك من دمشق وكان اولوا عصبيتها الفرس في خراسان على مقربة من الترك شرع هؤلاء وأخص منهم بالذكر عشائر الغانقي والقالاج والتركمان سكان ما بين النهرين بنقدسون - في صدر الدولة العباسية في خراسان والعراق هرباً من أذى أبناء عمهم الأوغور^(١) وطلباً للرزق (Le Cahun int. a l hist. de l' asie) .

ثم تضاعفت رغبة الترك بالمهاجرة الى الشرق الادنى حينما عوّل العباسيون على تجنيدهم بعد ان كانوا عماليك بالقصور في ايام الأمويين وفي زمن السفاح اول العباسيين (سنة ١٣٢-١٣٧ هـ) فان ابا جعفر المنصور ثاني العباسيين (سنة ١٣٧-١٥٨ هـ) كان اول من فطن للاستفادة من بأس الترك فألف منهم شزيمة قليلة لا شأن لها وانما بقي الشأن الاكبر يومئذ للعرب وللخراسانيين الفرس (المسعودي ج ٢ ص ٢٤٦) .

ثم اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطفوه من موالي الترك والروم والبربر ملأوا منهم المواكب في الاعياد والمشاهد والحروب حتى اتخذ المعتصم مدينة سامرا^١ انزلهم وكان اسم الترك يعمهم جميعاً فكان الروم والبربر تبعاً لهم ومندرجين فيهم .

وفي اثناء ذلك كان يتنازع السلطة في الدولة العباسية عنصران قويان العرب وهم اصحاب الدولة والفرس وهم اهل عصبيتها الذين قاموا بتأسيسها حتى اذا انتصر المأمون باخوانه الفرس على اخيه الامين وعصبته العرب نفرد الفرس بالسيطرة . ومع ذلك فلم تكن حاشية الخليفة لتخلو من الترك النسابذي الكلمة يذكر منهم طولوت جد الدولة الطولونية بمصر . ثم لم يمض الا القليل حتى قام الترك مقام العرب في منازعة الفرس النفوذ . ولا سيما منذ صار الامر الى المعتصم ثامن العباسيين (سنة ٢١٨ - ٢٣٢ هـ) فكثيراً ذاك الترك سيف ارجاء العراق (راجع فلسفة التاريخ العثماني ص ٣٢ وما يلحقها) فلا يستغرب اذا اقتبس الترك مثل لفظة (عربة) عن السريان العراقيين وقد كانت على حبل ذراعهم سواء أكان في بلادهم ام في العراق والجزيرة . فلا يقتضي لها مئات او آلاف من السنين حتى تنتشر وتشيع بين الترك كما ادعى حضرة الاب . بل لا يستغرب اذا

(١) كذا رسمها بعضهم ورسمها آخرون (الاو يغور) .

ذكرها محمود بن الحسين الكاشغري في (ديوان لغات الترك) في أواخر القرن الحادي عشر دون ان يشير الى أصلها السرياني .

وقد ذهب بعضهم الى أن لهجات القبائل التركية على كثرتها تعود الى اصل واحد هو التركي القديم ومنه التركي الحديث . وذهب آخر الى ان اللهجة التركية التي انتقلت الى الشرق الأدنى عن الطريق الاول كـشغري وفرغانة وسمرقند الى فارس والعراق تسمى (اللهجة الخاقانية) والتي انتقلت عن الطريق الثاني ضفاف جيحون في خراسان الى الشواطئ الجنوبية من بحر طبرستان (انظر) فمقاطعات قومفاف الى الاناضول تدعى (اللهجة الأغورية) وهي الباقية في الاناضول على السنة التركمان . وكيف كان الامر فقد ثبت ان هذه اللغة لم تكتب بالحرف خاصة بها بل كتبت بحروف لغات عديدة فقد عثروا على كتابات تركية مكتوبة باليونانية واللاتينية والسريانية والرونية (Le runnique) ثم كتبت بالحروف العربية والارمنية . وقد غلب على بعض القبائل ولاسيما الأغور كتابة لغتهم بحرف خاص نقلوه عن الكلدانية وعُرف بالحرف الأغوري وهو يكتب عمودياً من الشمال الى اليمين . الى ان كتبت التركية الآن بالحروف اللاتينية لقطع آخر صلة بالعرب واللغة العربية . فاذا كانت الاثراك القدماء اقتبسوا الكتابة السريانية او الحروف الكلدانية فلم يستغرب اذا اقتبسوا عن اللغة السريانية بعض اللفاظ فتأمل .

واذا انقصت الجلد الثاني من (منتخبات اللغات العثمانية) تجد مؤلفه يذكر في مادة (عربية) عرب . عرباء . عربان . عربده . عربده جو . عربستان . عربون . عربية . عربي . عربيد . فننتحقق ان (عربية) لا تمت الى أصلي تركي . واذا طالعنا قاموس اللغة العثمانية المعروف (بالدراري اللامعات) نراه يقول في مادة (عربية) عرب — عرب اسود زنجي . عرب داريسي قمح اسود . عرب صاجي مشوش مضطرب . عرب كؤله المملوك الاسود . عربجه عربي . عربده جو (ع ف) معرب . عربستان بلاد العرب عربه عجله (عربية) فنشأ كذا ان لفظة (عربية) لا نشق من اصل تركي . ولا بد من تنبيه حضرة الأب الى ان احمد وفيق باشا لا يبحث في اللغة العربية او اليونانية بل يبحث في لغته التركية وقد تابعته في بحثه عن هذه اللغة فقط فلا يفيد الأب

ما عني نفسه به وعدده من الالفاظ التي عربها العلامة سليمان البستاني في الاياداة بحرف العين في اولها ووسطها وآخرها كما لا يفيد ذكر غيرها من الالفاظ التي عربها العرب بالعين بدلاً من الألف ولو بلغت الوفاء عديدة . فان احمد وفيق باشا لما رأى لفظة (عربية) مدونة في اللغة التركية بهذا الرسم قال عربية خطأ محض وعل ذلك مبرهنًا عليه بقوله لان حرف العين لا وجود له في اللغة التركية فلنظ عربية غير تركي لانه مبدوء بحرف العين الذي لا اثر له في التركية وهو ما اردته عندما تمثلت بقول ذلك العالم المدقق فتبصر وتدبر .

وغريب من حضرة الأب ان يقول في حاشية صفحة ٢٨٦ من مجلته ونقول الآن : (عفارم) وفي التركية (افرين) الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر أصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها في لغتنا بهذا الحرف الحلقي ؟ وهو قول جميل جداً ولكنه لا يعد حجة للأب بل حجة عليه يؤيده قول احمد وفيق باشا السابق الذكر حيث قال : ان حرف العين لا وجود له في التركية . فقال العرب (عفارم) بالعين وقال الترك (افرين) بالالف وعليه لا ينكر اصل اللفظ الغريب الخالي من العين لاننا نقلناه في لغتنا العربية بهذا الحرف الحلقي . ولكنه ينكر في اللغة التركية لان العين لا وجود لها في هذه اللغة مما لا يختلف فيه اثنان .

وقال حضرة الأب في ص ٢٨٨ من مجلته ان لفظ العربية بمعنى الجملة لم تشع بين الناطقين بالاضاد قبل المائة الرابعة للهجرة او المائة العاشرة للميلاد . فاذا كان ذلك فعمن اخذها العرب عن الترك ام عن السريان ؟ وكما توسع بها العرب ونقلوها من معنى السفينة بالماء الى معنى سفينة البر التي نقل الركاب تصرف بها الترك ايضاً فنقلوها من معنى الرحى بالماء الى معنى المركبة .

والاغرب ان حضرة الأب استأس في رده ونقده تراه على خلاف عادته لا يرجع على اشتقاق اللفظ من اصل تركي بل يعتمد في قوله ان اصل (عربية) تركي على مثل صاحب مرآة اللغات ومؤلف الدرر العثمانية وصاحب لهجة اللغات وغيرهم ولا سيما محمود الكاشغري مؤلف (ديوان لغات الترك) مما لا يجدي نفعا في هذا البحث ولا يثبت ان

العربية تركية الاصل و بالنتيجة لا يجردها من اصلها السريالي . واذا كان السريالي عرفوها بمعنى المعصرة او الرحى او ما اشبه ذلك فقد توسع بها الترك ونقلوها الى معنى الجملة او المركبة كما فعلوا في غيرها من الالفاظ مما لا يحتاج الى دليل او برهان . وبهذا القدر كفاية للتأمل البصير فقد اخلت القصد ووفيت الامانة حقها في بيان الحقيقة ولكل احد ان يتبع الرأي الاقرب الى الصواب .

الطوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

استدراك

كتب اليّ عالم من علماء العراق يقول : خطأت في الصفحة ١٩٠ من الجزء الثالث استعمال البقي والصنار والفندق وأرجبت استعمال البعوض والدلب والبندق بدلاً منها على حين ان الالفاظ الاولى لا غبار عليها . وخطأت استعمال حرفي الدبق والعنم للنبات المسمى بالفرنسية (Gui) وباللاتينية (Viscum album) وهما صميجان .

قلت لاشك ان البقي في كتب اللغة يطلق على جنسين من الحشرات هما أنواع البعوض (Moustiques) ونوع بنات الحصير ذوات الرائحة الكريهة (Punaise) . ولكن الشاميين الا القليل منهم لا يعرفون ان لفظة البقي تطلق على البعوض . اما هذه اللفظة الأخيرة فلا يفهمها احد من المتعلمين ولذلك يجب في الكتب المدرسية ككتاب الاستاذ الهاشمي ان تسمى حشرات الـ (Moustiques) بعوضاً وحشرات الـ (Punaises) بقاً وهذا التخصيص ضروري جداً في الكتب التي تدرس في المدارس .

ومن البديهي لديّ ان لفظتي الصنار والفندق صميجتان . ولكن من هو الذي يعرف في الشام على الأقل لفظة الصنار المعربة عن جنار الفارسية . انه لا يعرفها احد على العكس من لفظة الدلب الشائعة . وكذا لفظة بندق فانه لا يلفظها احد في الشام بالفاء فلهذا السبب « ثم لأسباب أخرى يطول شرحها » رجعت استعمال الدلب والبندق بدلاً من الصنار والفندق في الكتب المدرسية خاصة الا اذا كان العراقيون لم يألّفوا

سوى لمظني الصنار والفندق فعندئذ نوضحان بين هلائين بجانب حرفي الداب والبندق .
 اما الدبق فهو مواد لزجة لانيات . ومن هذه المواد صنف يصنع من نبات الـ (Gui)
 لكن أهمها « ولاسيما الدبق الذي تصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل
 النبات المسمى (Ilex) وغيره . فاذا قلنا « شجر الدبق » نبادر الى الدهن كل الاشجار
 التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار . اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرذ الى الدهن سوى
 نوع نباتي بعينه هو الـ (Gui) .

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من محلبة هذا النبات » اطلاقها على نبات
 الـ (Gui) بل تطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) .

مصطفى الشهابي

مطبوعات حديثة

﴿ مرعريت ﴾

— أو —

غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفُعة خمسين صفحة من كتاب دون ان يواظبني اليسير من التعب
 او الضجر ، اما رواية « غادة لكميليا » فقد جلست لقراءتها جلستين ، فما نهضت حتى
 أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو ان المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون
 لهذه الرواية آخر أفق عنده .

خلاصة هذه الرواية ان « مرعريت » وهي بغني من بغايا باريز بارعة الجمال أحببت
 في اسمه « ارمان » ولما علم والد « ارمان » بهذا الحب ألح على « مرعريت » في هجر « ارمان »
 فهجرت « مرعريت » رافقة بوالده على فرط حبها إياه .

سوى لمظني الصنار والفندق فعندئذ نوضحان بين هلائين بجانب حرفي الداب والبندق .
 اما الدبق فهو مواد لزجة لانيات . ومن هذه المواد صنف يصنع من نبات الـ (Gui)
 لكن أهمها « ولاسيما الدبق الذي تصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل
 النبات المسمى (Ilex) وغيره . فاذا قلنا « شجر الدبق » نبادر الى الدهن كل الاشجار
 التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار . اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرذ الى الدهن سوى
 نوع نباتي بعينه هو الـ (Gui) .

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من محلبة هذا النبات » اطلاقها على نبات
 الـ (Gui) بل نطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) .

مصطفى الشهابي

مطبوعات حديثة

﴿ مرعريت ﴾

— أو —

غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفُعة خمسين صفحة من كتاب دون ان يواظبني اليسير من التعب
 او الضجر ، اما رواية « غادة لكميليا » فقد جلست لقراءتها جلستين ، فما نهضت حتى
 أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو ان المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون
 لهذه الرواية آخر أفق عنده .

خلاصة هذه الرواية ان « مرعريت » وهي بغني من بغايا باريز بارعة الجمال أحببت
 في اسمه « ارمان » ولما علم والد « ارمان » بهذا الحب ألح على « مرعريت » في هجر « ارمان »
 فهجرت « مرعريت » رافقة بوالده على فرط حبها إياه .

لا نظن ان هذه الخلاصة تطالعك على شيء من جمال (غادة الكيليا) فاذا أردت ان ننعيم بهذا الجمال فاقرأ (غادة الكيليا) مرة ومرتين وثلاث مرات وانما أضمن لك انك لا تكاد تغف من قراءتها حتى تحدثك نفسك بالعودة الى هذه القراءة .

لله در صاحبها ! لله در (دوماس) ما أقدره على اللعب بالنفوس ، أوتي من الفن شيئاً عجباً ، أراد ان يصور لنا فضيلة البغايا ، أراد ان يصور لنا هذه المخلوقات التي دفعت بها الطبيعة الى مواطن الفحش لسبب من الاسباب او لحاجة من الحاجات فلم له ما أراد وصور البغي في اكمل صورها فاذا قرأت وصفها علمت ان هذه الطائفة من النساء لها حياة خاصة وشعور خاص وكلام خاص فلو أحبت ان تتحاطهن ينهل ما تتحاط به المحصنات لما نجوت من شر مخربتهن .

على ان هذا الوصف ما كان الغاية التي رمى اليها (دوماس) في روايته وانما ذهب في الرواية مذمباً أبعد وحلق في جوف أعلى ، أراد ان يفهمنا معاشر الهازئين بالبغايا المحقرين لمعيشتهن ان الفضيلة قد لبست في منابهن واذا ظهرت هذه الفضيلة في أفيائن ظهرت بظهورها أعمال تهجز عنها اكمل المحصنات خُلُقاً . أحبت « مرغريت » النقي «أرمان» حباً ملك عليها كل شيء في العالم ، والمرأة اذا دخل العشق قلبها ضاعت مشيئتها وعميت بصيرتها فلا تميز بين سبيل عشقها كائناً ما كان ، أحبته حباً جما فكان من المنظر ان تضحي بكل شيء في سبيل حبها ، ولكن الذي وقع دلنا على خلاف هذا الامر ، فبدلاً من ان تضحي بكل شيء في سبيل عشقها ، ضحّت بنفسها في سبيل هذا العشق وقتلت عاطفتها للحي عاطفة والد «أرمان» رحمة لهذا الشيخ ورأفة بالإنس وبمسقبل ابنه .

وعلى هذه الصورة كانت (مرغريت) النابتة في منبت السوء رمز الخلق الكريم والقلب الشريف .

ليست مهارة (دوماس) في استخلاص هذه الحكمة الاجتماعية فقد تكون البغي أشرف الشريكات وقد تكون المحصنة أرذل الرذيلات ، واذا بحثنا عن سيرة البغايا أحطنا بأسرار كثيرة ، قد نفحش المرأة لسبب من الاسباب ، او لحاجة من الحاجات ، وقد نفحش للنفس نفسه ، فمن البغايا محصنات النفوس ، ومن المحصنات : بغايا النفوس ، ما هذه

هي الحكمة الرائعة التي يجب عليك ان تقرأ (غادة الكيليا) من اجلها ولكن اقرأ (غادة الكيليا) لتعرف سلطان الألفاظ على الأرواح وتندرك اثر الفن في القلوب . فبين انت تسمع كلام (ارمان) وهو ينغم على (مرغريت) لانها وعدته فأخلفت الميعاد اولاً انها تهزأ به وبين انت تشارك (ارمان) في رأيه في البغايا ونقمة عليهم ، اذ بك تقرأ كلام (مرغريت) فنرجع الى رضاك ونقلع عن نقمتك ونشارك (مرغريت) في حجتها القاطعة فكأنك مسلوب الارادة وما سلبك هذه الارادة الا فن (دوماس) وعبقريته الساحرة . فهو الذي يلعب بقلبك لعب النسيم بالنصون ، فتارة يميل بك الى الرضي عن البغايا فترضى ، وتارة يميل بك الى الغضب عليهم فتغضب وهذا كل شيء في الفن .

وما يحتاج الكاتب الى اكثر من هذه المقدرة ليكون في جملة الخالدين على شباب الالام وعلى هرمها .

اما الدكتور احمد زكي فقد استطاع ان يؤدي الينا عبقرية (دوماس) في أروع معارضها ، وهل يطلب الى المترجم شيء اكثر من حسن هذه التأدية ، فما نقصته سلامة الذوق في انتخاب الألفاظ ولا أعوزته لطائف اللغة الشعرية .

واذا سألناه في بعض ألفاظ استعمالها في غير مواضع استعمالها ، منها قوله : ' طرف شيقة والشيقة في اللغة المشتاق ، والدكتور يريد ان يقول : الطرف الرائعة أو اذا سألناه في جرأته على استعمال كلمات أعجمية كالمسلمين والدنلات والألواج ، أو اذا سألناه في بعض صفات أضافها الى الموصوفات على غير ارادة المؤلف (دوماس) نوخياً منه ان يجعل النغمات أوقع في الآذان ، اذا سألناه في هذه الهفوات البسيرة استطعنا ان ندق ما يستر هذه الهفوات من الحسنات الكثيرة ، وأظهر هذه الحسنات لتناسق ألفاظه الموسيقية من اول الرواية الى آخرها .

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

الجواهر

« في تفسير القرآن الكريم »

امدانا السيد مصطفى الباي الحلبي صاحب المطبعة المشهورة بمصر الاجزاء التي صدرت الى اليوم من التفسير النفيس المسحى (بالجواهر) وهي ستة عشر جزءاً تأليف العلامة الاستاذ طنطاوي جوهرى . وقد قضى الاستاذ سنين طويلة في تحرير هذا التفسير ولما يتم وقد بلغ فيه سورة فاطر . ومن تصفحه أدرك سعة علم الاستاذ كما أدرك مبلغ العناية الذي كابدته في وضع هذا التفسير والعناية التي بذلها في جمع مواده ، ونسقي مباحثه .

وأول ما يخطر للناظر فيه انه لا ينظر في تفسير قرآن وانما هو ينظر في (دائرة معارف) على القرآن تضمنت شرحاً لا ياتيه ثم تاريخاً وأدباً وأخباراً وفلسفة وسياسة واجتماعاً وجزراً ووعظاً ونبهياً وتحذيراً حتى انه لم يخل من ذكر نظرية (انيشتين) والاستشهاد بها على ما هو بصده من تفسير الوحي الآمى وكثيراً ما يقع نظرك على بحث في ثنايا الكتاب فتعجب لذكر مثله في تفسير القرآن حتى تراجع صفحات كثيرة سبقت فينبين لك اذذاك وجه المناسبة ولوضيعة بين هذا البحث وبين الآية المفسرة . افتح مثلاً الجزء العاشر ص ٢٢٩ يقع نظرك على مسائل تحت ارقام متسلسلة ثم اقرأ تحت الرقم الاول ما نصه (الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام . ويجب ان يتمتع به في الحال . وبينها الصين ومصر وسورية والعراق) فلا تكاد تصدق انك تقرأ تفسيراً للقرآن فتراجع أدراجك الى ما سبق من المباحث مبحثاً مبحثاً فتجد نفسك في تفسير قوله تعالى (والتي أحصت ٠٠٠٠ وجملناها وابنها ٠٠٠٠ ان هذه امتكم ٠٠٠٠ كل الينا راجعون) .

فتفسير (الجواهر) لم يؤلف للطالب العجول . ولا للشجر الملول . وانما ألف لازمة الوقور . الجليلد الصبور . ونرجو ان يكثر امثال هؤلاء بين ابنائنا .

وانا لنشكر المؤلف الفاضل خدمته كما نشكر للطابع الناشر هديته جزاهما الله عن

أمتها خير الجزاء .

« المغربي »

مختار الشعر الجاهلي « الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ مصطفى السقا طبع بمطبعة السيد مصطفى الباني الحلبي بمصر
في ٣٣٦ صفحة

من تصفح هذا المصنف الجديد في آدابنا العربية سره منه امران (الاول) ان
الطبع التجاري الذي كان يقصد من ورائه مجرد الربح أخذ يتضاءل رويداً رويداً في
مطابعتنا . (والامر الثاني) ان المشغولين في آدابنا العربية عادوا فأدركوا أنه لا يمكن ان يكون
لنا أدب جديد مالم 'هين على أدب قديم وان العناية بالادب القديم يجب ان تسبق العناية
بالادب الجديد فينبغي أولاً أن تستقصي منابع الادب القديم وتلحق موادها وتصحيح كتيبه
وتضبط نصوصه ضبطاً يطمئن اليه قلب الطالب عند دراستها . كما يطمئن اليه قلب
الاستاذ عند استخراج القواعد واستنتاج النتائج منها . والكتاب الذي نقرضه منذ الساعة
هو من تلك المصنفات الحديثة التي روعي فيها كلا الامرين . وقد اصدر مؤلفه جزءه
الاول وضمنه شعر الطبقة الاولى من الجاهليين وبعض اشعار الطبقة الثانية منهم : فهو
يذكر ملخصاً مفيداً من ترجمة الشاعر ثم قطعاً من شعره بأرقام متسلسلة و يعلق عليها في
ذيول الصفحات تفسيراً لا بالطويل الممل ولا بالقصير المحل . وقد لاحظنا أن الاغلاط
فيه طفيفة جداً : مطبعية كانت او لغوية من ذلك كلمة (الود) في قول امرئ القيس
ص ٥٣ (تخرج الود الخ) فقد ضبطت بالشكل بضم الواو مع ان الصواب فتحها مطلقاً
سواء أ كانت بمعنى الود أو اسماً للجيل . ومنها كلمة (الممر) في قول امرئ القيس
ص ٥٣ ايضاً .

(قد غدا يحملني سيف أنفه لاحق الاطبلين محبوبك ممر)

فقد ضبط (ممر) بضم الميم الاولى وكسر الثانية بصيغة اسم الفاعل وفسره
بالمعتدل الخلق . والصواب فيه ان يكون بصيغة اسم المفعول (بضم ففتح) من أمر الحبيل
اذا قتله فتلاً شديداً ومعناه في صفة الجسم أن يكون قوياً شديداً الأمر كالحبيل
المحكم الفتل وبذلك يتلاءم بقوله قبله (محبوبك) وتفسير (الممر) باعتدال الخلق

غير ظاهر لغةً ولو قال موثق الخلق لكان اصوب . والاعتدال في الجسم التوسط فيه بين الطول والقصر وبين السمن والنحافة ويقولون جارية حسنة الاعتدال اي القوام . وبالجملة فانه اذا صح وصف الفرس بالاعتدال .

(سلي الليل عني كم شققتُ أديمه على ضامر الجنبين معتدل عالي)
فانه لا يصح تفسير (الامرار) بالاعتدال ولا (المر) بالمعتدل .
« المغربي »

كتاب رغبة الآمل « من كتاب الكامل »

تأليف الاستاذ سيد بن علي المرصفي طبع منه سبعة أجزاء بكل جزء في نحو ٢٠٠ — ٢٦٠ صفحة بمطبعة النهضة بمصر

سيد بن علي المرصفي مصنف هذا الكتاب هو أستاذ الاستاذين في الآداب العربية وحامل لوائها في البلاد المصرية كان يضع على كامل المبرد هذا الشرح وهو يقرأه على الطلاب وقد طبع منه الى اليوم سبعة أجزاء فقط وصل فيها الى (باب النسب) وشرحه في ذيل الصفحات يستغرق ثلث الصفحة وأحياناً نصفها وأدونة أكثر من ذلك مع ضبط كثير من كلمات المتن بالشكل . اما التحقيق والتدقيق في الشرح والتفسير فحدث عنه ولا حرج . وللشراح ملاحظات كثيرة على المؤلف وتعليقات غاية في الجودة والاصابة . وآثار العناية بطبع هذه الأجزاء ظاهرة ، حتى اننا بعد تصفح كثير من صفحاته لم نظفر بسوى كلمة واحدة وردت في بيت لذي الرمة يصف شيئاً امشهد به الشارح وهو :
(وأبيض موثي القميص نصبتني على خصر) (مقالة) (سفيه جدي لها)
(مقالة) كذا بالقاف والناء المربوطة . وصوابه (مفلاة) بالفاء والتاء المربوطة من فلي المفازة يفلها اذا تخللها ومنه قوله :

(ساهمت عيسك مرّ عيشك قاعداً أفلا فليت بهن ناصية الفلا ؟)
او هي (مقلات) بقاف وتاء مفتوحة . يقال نافقة مقلات اذا لم يكن لها ولد . اذ ان